

ريلوجنز

رواية

هشام سويلم



ليلين للنشر  
والتوزيع

ديلوجنز

هشام سيلم

غلاف/ كريم محمد

مدقق لغوي أ. أحمد عبد العظيم

رقم إيداع ٢٧٦٦٧ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي / ٧-٠٣٤-٧٨٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٦

---

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد



01022661632 - 012242723



lilettepublishing@gmail.com



www.lilithbook.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إهداء

إلى أمي الحبيبه

إلى إخوتي

إلى زوجتي الغاليه وابنائي

إلى أصدقائي وزملائي

obeikandi.com

إلى صديقتي الخلوقة د/ محمد الغنام المحرّض الأول على  
النشر.. و الذي لولا صدفة جمعتني به ما كُتبت لتلك  
الرواية الظهور فلولا تصميمه وتشجيعه ما كان العمل بين  
أيديكم، لذا أكرر شكري له الحمد لله الذي وفقني لهذا  
عساه يكون نافعاً.

إلى كل من وصل إلى يديه هذا العمل.. سواء لاقى  
إستحسانه.. أو رَفِضَهُ.. إنْ مُجْرَدَ تَصْفِحِكُمْ لِكِتَابَاتِي الْأُولَى  
يُعد شرفاً كبيراً لي.

هشام سويلم

obeikandi.com

السادة المشاهدون، مساء الخير، طابت ليلتكم، نحن اليوم بصدد ذلك الجدل الدائر في المجتمع، ليس عن تلك الرواية التي ظهرت مؤخراً وتُدعى " ديولوجنز" وما فيها من أفكار وعوالم جديدة ومحاضر التماس البشري فقط، وإنما عن الجدل حول اختفاء صاحب الرواية، وظهور شائعات أنه شخصية وهمية! فلا أثر له!

وبعض البحث، تبين أنه فعلاً طبيب نساء وتوليد بمستشفى الهيئة، وبالرجوع إلى دار النشر، أكدت أنها لم تره، بل أبرمت العقد مع الدكتور خالد حافظ، الذي أصر أن تصدر الرواية باسم د/ حسن صبري؛ لذا ضيفنا اليوم د/ خالد، للنقاش حول الرواية، ولغز اختفاء صاحبها، بل هل هو حي أم رحل عنا؟!

هل تمت طباعة الرواية باسمه بعد موته من قبيل الوفاء له أم أن خالدًا هو المؤلف الحقيقي واستعار اسم صديقه ليواجه به الجدل؟ كل هذا وأكثر ولكن بعد الفاصل.

وبعد فاصل إعلاني طويل.

المديع : عدنا إليكم أيها السادة، وضيف حلقتنا د/ خالد، أهلاً بك يا دكتور.

خالد : أهلاً بحضرتك.

المديع : تأكدنا أن د/ حسن شخصية حقيقية، ولكن لم يظهر لفترة قبل النشر حتى في المستشفى فهل هو حي؟  
خالد : بخير والحمد لله، حي يُرزق.

المذيع : إذن لماذا لا يظهر؟

خالد : لا يحب الشهرة.

المذيع : لماذا هو محتفٍ؟

خالد : يحب العُزلة.

المذيع : هل كره الشهرة والعزلة من قبيل الزهد؟

خالد : فقط إدراك ووعي منه.

المذيع : ولماذا أنت تظهر على الرغم من أنك خليله؟

خالد : أحمل عنه ما يضايقه.

المذيع : لكن هناك أصابع اتهام تشير إليك بقتله.

خالد : هو رفيقي، ولا أحتاج إثبات حيي له.

المذيع : على عهدتك أنه حي، فهل خاف من الجدل وتحملت

أنت المخاطر عنه؟

خالد : لا، هو أشجع مني، وأنا فقط أستدرجه ليظهر.

المذيع : هل تعلم مكانه؟

خالد : نعم.

المذيع : هل أنت المؤلف الحقيقي واستعرت اسمه لتتوارى خلفه

وأنت متأكد من عدم وجوده؟

خالد : مش محتاج أقسم لحضرتك إنه حي وهو صاحب الفكرة وأنا

ومجموعة من الرفاق كتبنا الأحداث كما دارت.

المذيع : تعداد الأفكار والأحداث يدل على أنها درات في فترة طويلة

من الزمن، فكيف تذكرتها جملة واحدة؟

خالد : كنت أدون ما يدور من أحداث وما ينتج عنها من أفكار،

فهو لم يكن يريد لها الظهور .

المذيع : بعض الأحداث والأفكار ضامرة وغير مكتملة، فهل للرواية

جزء آخر؟

خالد : أجزاء أخرى.

المذيع : هل عن تحول الأحداث غير المنطقي في الرواية؟ بل

لماذا كان د/ حسن لا يريد لتلك الأفكار الظهور؟ هل هو مُلحد،

أم رجل دين؟ مجدد في الدين، أم به من العابثين؟ رجل علم أم

سفيه؟ عرييد أم فيلسوف؟ أصابه العشق بالجنون؛ فخلق لنا قوانين

وأفكارًا كما ترك لنا امرؤ القيس غزلًا وأشعارًا؟ أسئلة تطرح نفسها

على حلقتنا اليوم، وعلى مسرح الأحداث بالإضافة إلى لغز اختفاء

د/ حسن صبري، وما في الرواية من جدل، عن أصل الحكاية

سينضم إلينا تليفونيًّا والده، كل هذا وأكثر سيتم مناقشته بعد

الفاصل. انتظرونا.

وكان حسن الابن الوحيد للدكتور محمد صبري، يعيش منفردًا

في الشقة المجاورة لأبيه، وهو في الثلاثين من عمره، يتيم الأم وهو

ابن عشر سنوات، طويل، ذو لون أبيض وعيون خضراء، يعمل

إخصائي نساء وتوليد في مستشفى الهيئة، يبدأ يومه غالبًا بشجاره

المعتاد: "هوه الصوت الرخم؟ أيوه هوه، هوه أنا لحقت أنام عشان أصحى؟" تبقى كلمات اللعنة تنصبُّ على ذاك المنبه الأسود حتى تصطدم المياه بوجهه؛ فينقلب شاكرًا لنفس المنبه أن أيقظته، وبهرولة يرتدي ثيابه ويتجه إلى سيارته، ولكنها هذا اليوم لا تريد الذهاب إلى المستشفى، فقد ترك مصباحها مضاءً؛ فنقد شحن البطارية "عايزه وصلة، الكهربائي زمانه نايم هوه كان، يوه هاخذ تاكسي، مستشفى الهيئة يا اسطى الي على الكورنيش؟ أيوه».

زاد الزحام تأخيره، ولكن أعطاه فرصة لأن يندب ويلعن الاستيقاظ مبكرًا "لازم الشغل يكون الصبح؟ فيها إيه لو كان الحضور الساعه عشره؟ هما ليهم ٨ ساعات، في أي وقت بقى! وبعد صراع مع الإشارات والميكروباصات متجهًا إلى مستشفى الهيئة الحكومي، ذات الصبغة والمذاق الاستثمري، حوافزها كبيرة، ولا يكفي للتعيين بها الدرجة العلمية فقط، بل لابد من توصية، تلك المستشفى الباهرة ذات الثلاثة أبنية، بلونها القرمزي تكوّن مع الكورنيش مربعًا، يحيط بها حديقة جميلة يتوسطها نافورة، وفي هذا المنظر الجميل يصطدم بالمدير البيروقراطي، د / عوض عند دفتر الحضور.

د/ عوض : ربنا مش هيتوب علينا؟

حسن : إن شاء الله ناوي.

د/ عوض : إمتى؟

حسن : أنا بخفف اهوه، وبقيت بستعمل المنبه كان .

د/عوض: إنت بتهزر؟

حسن : لأ، باتوب، سلاموعليكم.

بسرعة رحل حسن من أمامه مغرورًا بإعجاب الفتيات، استقل المصعد، وصل قسم النساء والتوليد بلونه الزيتوني ورائحة المطهرات الكريمة، التقى دينا الممرضة التي يعلو وجهها الأبيض بالفطرة محل مكياج، ويفوح من طولها عطر يكفي لإمتاع حفنة من الرجال لعدة أيام.

دينا : دكتور شكري كان بيدور عليك.

حسن : سييك منه.

دينا : دكتور خالد سأل عليك.

حسن : هاغير وأروحله .

دينا فتاة جميلة وتحب حسن كبعض الممرضات والطبيبات في القسم، ارتدى حسن بدلة العمليات و"سابوه" بينك، واتجه إلى قسم الأطفال مواجه لقسم النساء والتوليد حتى يلتقي رفيق عمره د/ خالد حافظ، إخصائي الأطفال، ذا اللون الأبيض، وطول يقارب المترين، تعرفا في العام الأول من كلية الطب، وخاضا معًا تجارب فكرية متعددة، بداية من الاتجاهات الإسلامية مرورًا بالاتجاهات اليسارية، وما إن يؤسا من الاستقرار على مذهب وفكر معين، التقيا رفيق الفساد، ناجي العناني في العام الرابع من الكلية، ذا الأصول الريفية، والجسم النحيل، واللون المائل إلى السواد، يحب

ناجي النساء أكثر من حبه للمخدرات، فهو يرى أن كليهما مخلوق ليغيب الإنسان ويضفي عليه البهجة، يعمل إخصائي تخدير، كان يستغل حسن في اصطیاد الفتيات، تكونت تلك الصحبة، وتبلورت العلاقة بينهم إلى درجة غير عادية، وكعادتهم اليومية يجتمعون في سكن قسم الأطفال عند خالد لتناول الإفطار سوياً قبل الانخراط في العمل .

حسن : ولاد حلال أنا أصلاً كنت جي أفطر معاكم.

ناجي : إحنا عاملين حسابك أصلاً.

حسن : محدش استناني يعني؟

خالد: هو انت عمرك جيت بدري أصلاً.

حسن : آه صحيح، وكل يوم بنقول نفس الكلمتين .

انتهى الإفطار وانفض الجميع، ولكن سرعان ما يجتمعون، فقد ارتبط عمل الأقسام الثلاثة معاً قبل ارتباط أولئك الرفاق، سرعان ما اتجه حسن للعمليات .

ناجي : ايه اللي جابك متقولش ولادة؟

حسن : الخبر صحيح .

ناجي : أنا ملحقتش اشرب سيجارة؟

حسن : عليها طلق .

ناجي: لا يا شيخ هي رايحه تولد ولا رايحه كوافير؟

حسن: والده مرتين قيصري قبل كده، الرحم ممكن ينفجر .

ناجي : منك لله، زي ما انت فالقنا كدا .

حسن : ما هو عليا وعليك، هو أنا اللي باجيهم من بيتنا؟

ناجي : انت هترغي، خلص، إنجز .

وقبل انتهاء العملية، أطل د/ شكري رئيس القسم، الذي يعتبر أن القسم بمن فيه من أطباء، وتمريض، وعمال هم منحة الدولة إليه، بل إنهم ليسوا مثله، وإنهم ملك يمين، يحكم القسم بأن يجعل كل من فيه على خلاف مع الآخر، يرمي كل إنسان بتهمة، ولكن حسن لا يحتاج منه مجهودًا، فهو سيئ السمعة نسائيًا، وعلى الرغم من ذلك، فهو دومًا محتد مع حسن، كثيرًا ما يعنفه دون سبب واضح، فليس للغيرة مكان، فهو يكبره سنًا وعلمًا.

شكري: جاي متأخر ليه؟

ناجي : شوف كان صايح فين امبارح.

حسن: هو مش ناقص تسخين !

شكري: عقابًا ليك هتشتغل العمليتين الجايين.

حسن: اللي أعرفه إن العقاب حرمان من الشغل.

شكري: ما انت عقابك تقعد هنا؛ علشان ما تطلعش تعاكس

الحريم.

ناجي: الله على القيادة الحكيمة.

دومًا يوجه له شكري هذه التهمة "حسن بصباص وبتاع حریم" ولكن هذا لا يغضب حسن؛ فهو ينعكس عليه بالإيجاب؛ حيث

يعتقد فيه النساء، بل يلفت نظرهن إليه أحياناً، فكثيرات من النساء يفضلن ذا البريق عن اكتشاف الجواهر التي بين أيديهن، وكأنهن لا يحببن الصيد السهل، انتهت العمليات، وخرج ناجي وحسن ليحتسيا القهوة، وبعض لفائف التبغ، وأثناء تداخل دخان السجائر، ترامت النظرات كالشباك ترمق الفاتنات اللاتي تمر كنسمات الصيف، تعطيك المتعة ولا تتمكنك من الإمساك بها، اصطدمت أبصارهم بفتاة بيضاء طويلة مشوقة القوام، ذات رائحة جذابة، وشعر أسود طويل .

ناجي : كان لازم بنظلون يعني؟

حسن : عايزها تمشي عريانه يا عرييد؟

ناجي : لا بجيبة قصيرة، عشان اللوحة تكمل .

حسن : عمومًا هي جامدة .

ناجي : النساء إن تعرت جذبت .

حسن : النساء إن اكتست زادت بريقًا .

تعلقت أبصارهم بها حتى وصلتها إلى مكتب قسم الأطفال .

ناجي : دي حاله ولا تبع حد؟

حسن : غالبًا مش حاله، معهاش أطفال، ما تيجي نشوف خالد .

توجها إلى خالد الذي كان يراقب د/ منعم، ذا الأربعين عامًا -الأعزب- بشعره ذي الجل الكثيف وهو يقدم النسكافيه إليها مستحضراً كل معاني اللطف والتعطف، وبإتسامة ممتعة

شكرته؛ فزاد في الزوجة «بقالي أسبوع بقولك ما مجبش أشرب مكان حد» فصمم عساها تحجل ولا تحرجه أمام الموجودين «ما مجبش التفاهة» ناهرة إياه، عم الصمت المكان، وانصرف د/ منعم على الفور؛ خشية أن تهال عليه السخرية، وبعد لحظة خرجت هي أيضاً، وأثناء الانصراف التقت عينا حسن بعينها للحظة سرعان ما انتهت، ولكن بقي أثرها عند حسن، تلك الفتاة الجميلة، ذات النظرة الحادة الشرسة القوية، والملاحم الطفولية الجميلة، حالة جديدة لم تمر عليه من قبل بين النساء.

ناجي : مين الأمورة؟

خالد مبتسماً : جاين وراها يا كلاب؟

ناجي : إنجز أومال جاينلك؟

خالد : دكتورة منقولة عندنا من أسبوع.

ناجي : لسه متخرجة؟

خالد : لأ، معاها دبلومة.

ناجي : وكان ، اسمها إيه؟

خالد : نور الحسيني.

ناجي : شكلها هتبقى متعبة، بس أكيد ليها دخله ما هي في الآخر

ست، ولأ إيه يا حسن بيه؟

خالد : حسن شكله سرحان.

ناجي : لا ، فوق يا معلم .

كان لشدة وجده نور بريق جذاب على حسن؛ فبقي صامتًا لفترة، وكأنها استفزت روح التحدي داخله، هذا ما علله لنفسه كي يطرد الفكرة التي سيطرت عليه لبعض الوقت، إنها اختطفته، بل أسرته من النظرة الأولى، وسرعان ما طرد تلك الفكرة من رأسه، فهو لا يميل لأنثى، وإنما فقط النساء هن من تُعجب به، هو غير قابل للملكية، هو فقط من يمتلك ”هي بس استفزتني وعمومًا هي جذابة ما فيش جدال في كده، هي صيد مش سهل“.

ناجي : حسن، إنت طبييت ولا إيه؟

خالد: شكله طب من النظرة الأولى.

حسن: إيه يا رجاله ده كلام أفلام.

ناجي : واحنا هنسيبها؟

حسن: شكلها متعبة.

ناجي : قول إنك معدتش مسيطر !

هنا حضرت دينا : دكتور شكري عايزك.

حسن: هو لسه حاططني في دماغه؟

رحل حسن إلى قسم النساء، وما زال يفكر فيها، وفي شراستها وجمالها في آن واحد، عقله ما زال هناك معها، وزاد ناجي الأمر سوءًا وتعلقًا بها بأن جعل الرحيل عنها هروبًا من ميدان المعركة، حسن مقدم لا يحب الهزيمة، ناجي أم هي؟ من سيسود روح التحدي أم

الحب؟ عمومًا كلاهما بادر بفرض علاقة جديدة معها هو مجبر عليها.

دينا: عايزه اقعد معاك شويه.

حسن: بعدين، خليني بس اشوف شكري عايز ايه؟

دينا: مالك قالب ليه؟ أنا زعلتك في حاجة؟

حسن: لا مشغول شوية.

دينا: ما انت كنت رايق الصبح.

وصلا القسم، واصطدما بالدكتور شكري.

شكري: أنا عارف إن دينا اللي هتجيبك، كنت فين؟

حسن: مع خالد.

شكري: مش هنشوف شغلنا بقي؟

حسن: خير؟

شكري: ادخل اشتغل القيصرية دي.

حسن: ما القسم مليون دكاترة وأحسن مني كان.

شكري: أنا عايزك إنت اللي تشتغل.

حسن مستاءً: حاضر يابيه.

ودخل حسن غرفة العمليات، وكانت الحالة تعاني من نزيف بسيط مع الحمل قبل ميعاد ولادتها بشهر، وجد حسن الدكتورة نور هي التي ستحضر معه الولادة عن قسم الأطفال لتعتني بالطفل بعد الولادة.

حسن: الجنين في خطر ومحتاجين دكتور كبير.  
نور: ما أنا كبيرة.

حسن: احنا هنتناقش؟ بقولك روحي.  
نور: إنت إنسان مغرور، وده مش من حقك.  
حسن: أيوه يا شاطرة، روحي بقى.

وانصرفت، وحضرت طيبة أخرى، وتمت الولادة، وقبل انتهاء  
العملية حضر خالد.

خالد : يا صايع، حطيت على البت ليه؟  
حسن: ما هي حطت على منعم.

خالد : وانت مالك؟

حسن: أنا قلت اللي زيها يلزمها دخلة عربي.  
خالد : دي جايه منهاره.

ناجي : يا سلام عليك يا حنين.

خالد : اشتكت لرئيس القسم، وقالها ما حدش يقدر عليكم  
غيري.

ناجي : وعملت إيه يا حنين؟

خالد : اعتذرت لها نيابة عنكم.

ناجي : هو اللي شخط فيها، أنا مالي؟

خالد : ما هي بتقول إنك كنت بتضحك.

ناجي : عشان حسن مضيعش وقت، وكان عشان براءتها وهي بتدخل المصيدة.

خالد : حبيت أنقذها، بس صمتت تعتذروا بنفسكم.

حسن بابتسامه : هي اللي عايرة، واحنا عايزين نكبرك يا عم خالد.

خالد : خد بالك دي شرسة، مش من نوعية معجباتك.

حسن بابتسامه : ما هو عشان كده غيرت الأسلوب.

فالمرأة كالقلعة الحصينة، ولكي تقتحمها، فأنت تحتاج إما لحصار طويل يستنفد مقاومتها، أو هجوم خاطف يفقدها الاتزان، وفي قسم الأطفال، كانت جلسة من الطبييات منعقدة معها للتسخين على حسن، وما إن وصلوا حتى انفضت جلسة الاستفتاء.

خالد : خلاص يا نور، أهم جاين يعتذروا.

نور : أنا يقوللي عايز دكتور كبير؟!

خالد : معلش، ما اشتغلش معاكي قبل كده.

نور : يقوم يشخط ويضحك الناس عليا؟

حسن : آسف يا ستي.

نور : ومالك كدا بتقولها وانت مش مقتنع.

ناجي : هو ده اللي عندنا يا أمورة.

حسن : استنى يا ناجي، أنا آسف يا دكتور نور.

خالد : كده تمام يا ستي؟

ناجي جاذبًا حسن من ذراعه: يآلا يآلا.

وما إن خرجنا من المكتب حتى انفجر ناجي في الضحك ساخرًا من نور وتصميمها في استئناف الشجار متمادية في أكل الطعم، انشغل الجميع بأعمال النوبتجية التي كانت حافلة بالعمل والأحداث، والتي كان أبرزها إطلالة نور على حياة حسن الذي شعر بأنه يحتاج أن يتعد قليلاً عن التركيز، لا بل هو يريد أن يتفرغ لذلك الشعور الجديد الذي لم يعرفه من قبل، مذاق بكر لم تعهده نفسه، موقوفان عابران، أنثى ونظرة، ظلا معه حتى منتصف الليل لم يفارقا خياله.

بين الاستيقاظ والنوم لا يشعر بإرهاق، ولا يدري ماذا يقول، فرحة تملؤه حتى الثمالة، لا ينقضها إلا مرارة المقاومة في أن تأسره أنثى، هو لا تشغله إلا تلك الفتاة التي يأبى أن يعترف بأنه انجذب لها، خرج ليتناول الطعام، ويتنفس بعض هواء الكورنيش الخالي من الأسئلة، هواء منزوع التركيز والدم والحالات، اشترى بعض السندوتشات، وجلس مع عادل صاحب الكشك المجاور للمستشفى يتجاذب معه أطراف الحديث لعله ينسى، ولكن هي الفتاة نفسها، هي الأحاسيس ذاتها لم تفارق فضاء عقله، تحلق في زهو المنتصر حتى تنزع مدافع الكبر منها فرحة النصر، انقضت ليلته، ولم يعرف لماذا تشاجر معها؟ هل جذبته فعلاً؟ هل خطفته؟ أم أن ناجي استفز روح التحدي فيه؟ أتى الصباح، ولم يدر من أمره شيئاً إلا أنه تأكد أنها ليست كغيرها، وأنها وافد جديد على حياته، هي ليست عابرة.

مضى اليوم التالي للنوبتجية وهو ما زال يفكر فيها، ينكر تارة

ويقر في أخرى، ولكنه سلم بأنها حالة جديدة حتى يتم تسميتها فيما بعد إعجابًا أو تحديًا، لم يحتر في أمر أنثى من قبل، وأيضًا لم يعرف الحب ولا مذاقه، فهو لا يعرفه إلا في النهاية، أو على الأقل بعد الاعتراف؛ فيظل الحب بين العاشقين شعورًا غريبًا دون مسمى، كطفل وليد، تمنحه شهادة الميلاد اسمًا وأبًا أمًا، أوراق اعتماد تعطيه اسمًا ونسبًا، ولكن لا تجعله طفلًا، وكذا الحب حب، إن لم يكن له اسم أو عاشقون يمنحونه نسبًا، وإن جعله الكبر لقيطًا فهو حي لا يغفله أحد.

هي فقط روح التحدي، لا شيء سوى ذلك، لكن هي جذابة، ذات بريق .

حضر في اليوم التالي إلى المستشفى مبكرًا على غير عادته، معلنًا لنفسه بأنه قدم ليكون في مواجهة معها لينفي عن نفسه تهمة الانجذاب إليها، هو فقط يريد أن يتجاهلها ويقطع هذا الأمر مع نفسه بأنه ليس منجذبًا، وإنما رغبة في التجاهل، فوجئ بأنها غير موجودة في هذا اليوم، مضى اليوم كئيبيًا، فهو ذو مزاج مضطرب غير سعيد، بل إنه رفض دعوة ناجي للاستمتاع بالفاتنات وتبادل النظرات والضحك.

وفي اليوم التالي، حال هاجس غيابها دون نومه جيدًا؛ فذهب مبكرًا أيضًا، وما إن ذهب إلى خالد حتى وجدها، وحاول مداراة فرحته وابتسامته، ولكن ضربات قلبه المتتالية لم تعد لتترك مجالًا للشك، كاد يدرك، ولكن روح التحدي والكبر حالًا دون اعترافه،

أكد له بأنها مثل غيرها، وإنما هو يريد أن يثبت لنفسه أنه لا يقاوم، لم ينجرف بعد وإنما هو يصطاد، كانت نور تتناول كوبًا من النسكافية وشريحة من الكيك.

حسن بابتسامة: هو حضرتك بتفطري؟

نور بامتعاض: معلش مش فول.

حسن بخوف: إنتي زعلتي؟

نور بحدة: حاسه بنبرة سخرية.

حسن باطمئنان: لا العفو، هو خالد فين؟

نور: أهوه وراك.

حسن: فطرتوا؟

خالد: لأ، ناجي مش جاي النهارده.

حسن: طب وأنا هصيع مع مين؟

نور: هو انت لازم تصيع؟

حسن: الصراحة آه.

نور: وكان معترف؟ يا ساتر يا رب.

حسن: في إيه يا دكتوراه؟

نور: لا مفيش. بس حضرتك سمعتك بايظة.

حسن: ده انا متراقب بقي؟

نور: مش محتاج، انت صيتك مسمع.

حسن: آه، جلسة الاستفتاء.

نور : وكان ناس تانيين؟

حسن : وقالوك ايه بقى؟

نور : لأ، هتزعل.

حسن : لا، أنا واطي ومبزعلش.

نور : ايه الاستهتار ده؟ دي سمعة؟

خالد : قولي يا شيخة خalina نضحك شوية.

نور : هما اللي بيقولوا إنك مغرور وتافه وبتاع بنات.

خالد : وكلب وحقير.

حسن : بس كده؟

نور : إنت الصراحة إنسان مستهتر.

خالد : سمعة ايه يا نور؟ هو رايح يتخطب؟

نور : ما الراجل له سمعة زي البنات بالظبط.

حسن : تصوري عمري ماخذت بالي.

نور : بتهزر؟

حسن : أرد ولآ لسه؟

نور : لا اتفضل رد.

حسن : أنا مش بتاع بنات هما اللي بتوعي.

نور : هنبتدي غرور؟

حسن : غرور دي بيقولوها لما بنفضلهم، وطبيعي واحد زي، البنات

بيعملوا معاه كدا يشوف نفسه.

خالد : وأنا لسه قايل عليه إنه كلب وحقير ومزعلش.

نور : عشان انت صاحبه.

حسن : لأ، عشان انتي قاعده.

نور : طب والتفاهة؟

حسن : أهي دي بيقولوها إرضاء لغرورهم، لما أنا تافه بيحكوا فيا

ليه؟ وشاغلين بالهم بيا ليه؟ وبعدين مين فيهم تقيل؟ بدمتك

شوفتي حد فيهم له اهتمامات عليها القيمة؟

نور : لأ، مُقنع وبتاع فلسفة.

حسن : بس الفلسفة والفكر بتخلي الناس تهرب مني، الهلس

بياكل معاهم وبيلمهم حواليا.

نور : ليه كدا؟

حسن : إحنا في زمن المهرجانات مش زمن القصايد.

نور : وجهة نظر برضه.

انصرف حسن لأداء عمله بعد أن شعر بنوع من الارتياح

والانتصار، مضى على تلك الجلسة شهر، يحضر حسن للمستشفى

مبكراً ويذهب إلى قسم الأطفال، ولكن ما إن يدخل المكتب

تنصرف نور على الفور من المكان، هذا الانصراف كان يزيد الأمر

سوءاً عنده، يزيده إحساساً بالهزيمة، بل يزيده تعلقاً وانجذاباً، هو

لم يعد يدري ما حاله، سرعان ما يصاب بنوبات حزن يخرج منها

على يدي ديننا، تلك الفاتنة التي لا تقول له لا أبداً، هي بديعة، مصممة بعناية، جميلة، تتزين ببروزاتها الخلفية والأمامية في شكل هندسي رائع مع قوامها المشقوق، وتزين سمانتها الذهبية مشيبتها المليئة بالغنج، كما رآها لا يقاوم رغبته في الركون إليها كي يذوب جليد همومه بشمس ابتسامتها، حينها تصفو نفسه؛ فيزداد تعلقاً بنور، تلك الجميلة التي لا يلفت نظره جمالها فقط، وإنما شخصيتها "تقلها لا، جمالها مهم، لا، الأنثى الذكية أكثر جاذبية من تلك التي تعتمد على جمالها في اصطیاد الرجال، العقل أفضل من الشكل، لا الشكل أهم، ديننا كافية، هي لا ترفض أي شيء، ولماذا لا تكتفي بها أيها الوغد وتذهب هناك لتسرق النظرات؟ هل تطلب لنفسك الشقاء؟ لا، بل هو الحب، والحب والشقاء لا يختلفان كثيراً، بل هو التحدي الذي ألزمت نفسك به» زادت حيرته وتعلقه، ووصله لدينا، ولكن ذات صباح :

حسن : خير يا خالد هوه أنا أشكيف؟

خالد : هاه يا دكتور ه نور؟

نور : نعم؟

خالد : هوه أشكيف؟

نور : لأ بس اللي بيقعد معاه بيتشبه.

خالد : تصوري أنا مشبو ه فعلاً !

حسن بانفعال : ليه هو انا بيع محدرات؟

نور : لأ، بتاع بنات.

حسن: هو احنا مش حسمنا الموضوع ده؟

نور: تقدر تحسمه مع الناس الأول عشان أقدر أقعد معاك في مكان واحد؟

انصرفت وترك حيرته تزداد، رحلت وكأنها تعلم ما بنفسه، زادت النار لهيبًا، سخرية ناجي وخالد كانتا أشد فتكًا من فعلها، بل إنها أجمت نار التحدي، ولكن كيف يصلح سمعته في نظر الناس كي يتمكن من الفريسة كما اشترطت؟ كان سؤالًا مهمًا، انصبت عليه العقول الثلاثة بعد جلسة السخرية، فأشار ناجي بأن يبدأ بمشاجرة بعض المعجبات؛ فتصل إليها الأخبار، وكان تعديل بسيط من خالد بأن يبدأ الشجار من عندها، بأن يبدل سياسته مع الممرضة المقربة لها، فبدلاً من أن يغازلها كي تغار نور عليه، أن يتشاجر معها؛ فتصل الأخبار نور ومن أقصر الطرق لإقناعها، ولا ضير من إفساد بعض العلاقات الأخرى؛ فيرفع د/شكري لسانه عن حسن؛ وبالتالي تنضبط سمعته تدريجيًا، وبالفعل بعد أسبوع ذهب ليفطر مع خالد كالعادة، ولكنها لم تنصرف هذه المرة، وفي منتصف حوار حاول فيه أن يبرز توبته، أقرت هي بذلك، وأنها كانت قد تسرعت في الحكم عليه.

حسن : دي شهادة ترفع من معنوياتي.

نور : لأ ده حقك، إنت بقيت إنسان جديد.

حسن : الواحد مايلزموش غير واحدة تملى عينيه.

نور: ودي شكلها ايه بقى؟

هنا استأذن خالد وعاد بعد ساعة على صوت الضحكات.

خالد : صوتكم عالي.

حسن : أنا أصلاً ماشي.

نور: على تليفونات بقي.

عبارة فاصلة بدأ بعدها حال حسن ينضبط تدريجيًا، حتى مزاجه انضبط، وانهارت معظم علاقاته النسائية، وكأنه كان يدخر قواه إلى تلك المعركة، يدخر كل طاقة ليجذبها إليه، بل كان يتفاني ليهيئها على عكس ما كانت علاقاته من قبل، فكانت النساء تبذل قصارى جهدهن لينلن وده، ولكن غروره كان حائلًا دون نجاح أي علاقة سوى علاقته مع دينا.

ولم تكن دينا ملكية عامة، فهي تنتقي زبائنهما، وهم بضعة رجال كانت تؤدي لكل منهم ما يريد من غزل أو إغراء مقابل أن تحصل هي على ما تريد من مال أو تسهيلات تتحول في النهاية إلى أموال، هي أدركت أن الأبواب الخلفية أقصر وأوجز من تلك العلنية، ولكنها كانت تخص حسن ببعض الحميمية وكأنها تؤدي عملها بمزاج، لا تطلب منه شيئًا إلا أن يركن إليها ولو بابتسامة أو خطاب لين، وهو كان يجارها كي تزيده بريقًا في عالم النساء في المستشفى؛ فلا تستطيع عينا رجل في المكان أن يتجاهل النظر إليها، فلا أجمل ولا أروع منها في المكان قبل حضور نور التي زادت على جمال الشكل جمال العقل والشخصية، تجيد مداعبة عقله، تجعل نفسه تلهث لإرضائها دون أن يدري، وما إن تدرك وصوله حتى تبعد المسافة،

تجعله في لهيب واشتياق دائمين .

وكان نور أيضًا تأبى الاعتراف، أو لعل عندها أيضًا معركة بين الحب والكبر، ولكن لا تمل نفسه من هذا الماراثون المجهد، فهو شقاء عن طيب خاطر، بدأت نور تملأ فراغات في حياة حسن تطرد تدريجيًا مكياج دينا من على شفثيه، بل وتطهر دمه من عطرها، هي جذبته حقيقة، ولكن تبقى المعركة بين الحب والتحدي، هل هي فريسة أم حبيبة؟ كان لدورها تأثير بالغ في تقليص دور دينا، ولكن وجود دينا يعني أنه ليس حبًا كاملاً، هو انجذاب، انضباط حسن استفز المحيطين حتى المدير .

د/ عوض : أيوه كده ربنا يهديك .

حسن : مش قلتلك ناوي أتوب .

د/ عوض : يا ريتها انتقلت عندنا من بدري .

انصدم حسن من افتضاح أمره، وتلك هي المرة الأولى التي يعبا فيها بالفضيحة، بل إنه كان يباهي بحب النساء له، اختفى من أمام المدير يبحث عن الرفاق، وكأنه يسير عارياً في المستشفى .

ناجي : مفضوح !

خالد : مش خايف على سمعته .

يضحك ناجي : يبقى حبها يا ريس .

خالد : ده أنا قربت أعتبره دكتور معانا في القسم .

هنا بدأ حسن فعلاً بحسم الأمر مع نفسه بأنه إعجاب، والآن

هو يريد أن يصل إليها لتكون رفيقته، فن استطاعت أن تقاومه وتلاعبه، من تمكنت أن تجذبه، من قاومت كل محاولاته لجرها إلى الانحراف، هي تستحق فعلاً، طلب منها اللقاء خارج المستشفى فرفضت، فقص لها ما كان مع د/ عوض، فزادت رفضاً؛ فاضطر لأن يعترف لها بإعجابها؛ فقد تبدل حاله لأجلها، بل أنهى كل علاقته النسائية، خارت جبال الكبر بداخله أمام خوفه عليها، انفضت غشاوة التحدي، يريد أن يخاطبها، أن تكون رفيقة دربه، هي من ملأت عليه حياته، هي فعلاً جذبتة لجمالها، لقوتها، لشراستها، لعقلها ولحكمتها، للحزن العميق الذي يملأ نظرتها، أم لذلك البريق الذي يراه فيها كلما نظر لوجهها وعينيها، هو فعلاً لا يدري، ولكن هو يعلم أن غيابها يجعله فريسة لدينا، بل للاكتئاب، وأن حضورها ينسيه الآلام، هو حب وليس تحدياً، هو الآن يقدم أوراق الاعتراف لمخلوق موجود ولم يُسمَّ إلى الآن.

ساقه ناجي إلى هذا الطريق ليلقى مصيره وتنتهي أسطوره النسائية، وينكسر الكبر داخله، ذهب إلى عمها ليطلبها، ولكنه رفض طلبه، تجددت أحزانه، فما ولد بداخله لا يجوز أن يكون لقيطاً، إلى أن أشارت عليه بأن يخاطبها من خالها الذي طالما كان اليد التي تحنو عليها، ولديه من الجرأة والقراية ما يواجه به عمها، فهي كانت تعلم أن عمها سيرفض، ولكن اتبعت الأصول وتمت الخطبة في منزل خالها بحضور أبيه، ورفيقه وبعض الزملاء وأهل أمها، وبعض صديقاتها، وفي غمار الفرح وأصوات الموسيقى:

خالد : الواد حسن حلو في الكوشة.

ناجي : يا خسارته.

خالد : مالو الجواز يا صايع؟

ناجي : خليه يفرحلوا يومين.

وكانت إحدى خالاتها تلقي أذنها؛ فأبدت امتعاضًا، فرحل ناجي وخالد على الفور، وقصا بعد ذلك ما دار لحسن فضحك، وزادت اللقاءات بين نور وحسن، واشتد التجاذب تدريجيًا، تمكنت منه إلى درجة كبيرة، ولكن يحول دون فرض السيطرة الكاملة عليه بقايا كبر لرجل اعتاد أن تلهث خلفه النساء؛ فيرفض في انتفاضة جنون أن تأسره في النهاية امرأة واحدة مهما كان درجة حبه لها، فيحيد عن طريقها في خياله، مستحضرًا جمال دينا وعطر النساء، ولكن سرعان ما يعود إليها معترفًا بانجذابه وحبه، فنكاح العقول أشد روعة مما يتم بين الأجساد، فتلك متعة لحظية، لكن متعة العقول تدوم.

كان لنور بريق لا يستطيع حسن أن يقاومه، خاصة بعد أن فتحت له بئر أحزانها فهي ليست سهلة المنال، يراها بين النساء كالجبال شامخة بما تحمل، وفي عطاءها كالسهول بهية بخضرة لونها، فقوة المرأة في أنوثتها، وأنوثتها في ضعفها، ولا يكتمل بهاء الأنثى إلا ببعض صفات الرجل، وأروع ما فيها الشهامة "أنثى جميلة جدعة" كانت عبارة ترجم بها سبب انجذابه لها، اندهش حين أخبرته أنها لاحظته منذ اليوم الأول.

حسن : عشان الخناقة ما يقاش قلبك اسود؟

نور : هو في دكتور يلبس سابوه بينك؟

حسن : إيه المشكلة؟

نور : ده بناتي !

حسن : وإيه الولادي؟

نور : أسود، أزرق، غوامق يعني.

حسن : وما فيش بنات بيلبسوا غوامق؟

نور : لأ، في.

حسن : خلاص، وفي ولاد بيلبسوا بينك.

نور : لا يا شيخ؟

حسن : بتاع نسا منتظره منه إيه؟ يلبس نقاب؟

نور ضاحكة : لا يلبس مايوه.

حسن : شوفتي؟

نور : لو تستغل طاقاتك دي في حاجة مفيدة.

حسن : طاقة ايه بلاش كذب، ولأ مراية الحب عميه؟

نور : إنت مضيع الإمكانيات اللي ربنا مديها لك على التفاهة.

حسن : بلاش مبالغة، ده انا كلب وحقير.

نور : أحلى كلب خلقه ربنا، بس ربنا هيحاسبك.

وكان لها رؤية فيه، ترى فيه خامة جيدة، وتريد أن تصنع منه إنساناً ما، هي دوماً تداوي فيه أموراً، بل تكتشف فيه أشياء هو ما كان يعتقد أنها موجودة، تذكره بنفسه الحقيقية، بالخامة الجيدة

التي بداخله، تصدمه حينما تخبره بأنه سبيكة من ذهب تغطي نفسها بالطين، هو لا يرى نفسه كذلك، فهو يرى نفسه قطعة من الحديد علاها الصدأ، بل كاد يأكلها، وأن كل ما يملكه هو تلك الجاذبية التي يصطاد بها النساء والضحايا.

انهر حين أخبرته أنها منقولة من أجله، وأنها أتت مصممة عليه، وأنه هو الفريسة وليست هي، حين أخبرته بأنها كانت يومًا في المستشفى، فمرت على صديقه ناجي وهو ينهر العاملة لدرجة أنها بكّت، وحين حضر حسن وطلب منه الاعتذار لها رفض ناجي، وانصرف غاضبًا منه، ولكن حسن لم يعبأ بغضب صديقه، ومال إلى الحق، إلى العاملة، واعتذر وصمم على البقاء معها حتى ضحكّت، وبعدها استمرت نور في الحجيء للمستشفى لمدة أسبوع تنقب عن هذا الإنسان الذي يختار الضعيف على القوي، ولكنها صُدمت بسمعته، فطمأنت نفسها بأنه ضالّتها، وأنه الإنسان الذي تبحث عنه بالكلمات الطيبة التي قالها الموجودون عنه في موقف العاملة "كانت كلمات صادقة" وقررت أن تخوض التجربة معه، وأنه إن تأخر في الشجار معها كانت هي من ستشاجر معه، انهر حسن بأن هناك صيادًا أهر منه، فأطال في غزلها، ثم سألها: لماذا هي جميلة وتصدر للناس وجهًا حادًا؟

نور : أنا عايزه كده.

حسن : وليه القسوة دي؟

نور : واحدة جميلة زي ما بتقول غنية، يتيمة، وحيدة، تبي

مطمع ولا لأ؟

حسن : تبقى فريسة.

نور بحزن : وأنا سذاجتي كلفتني كثير.

حسن بابتسامة ماكرة: لحد فين يا أبله؟

نور تحمر نجلاً : كلفتني آلام كثيرة.

حسن بروح من الدعابة: أيوه ما أنا بسأل آلام من أي نوع؟

نور بكسوف : آلام نفسية يا حيوان.

حسن : ياه وأنا اللي فهمت غلط؟

نور : الطبع غلاب.

وكان حسن فتح بئراً عميقة من الآلام، فالألم النفسي أكثر حدة من العضوي، والبوح به في حد ذاته علاج، فاحتباس المشاعر قاتل  
”مش ملاحظة إنك صغيرة على اللهجة دي“؟

نور : العملية ليست بالسنن، وإنما بالأحداث التي يمر بها الإنسان،

الأحداث فقط هي التي تصنع المرء، هي التي تقيّم سنه، فكم

من أناس صغار تحملوا المسؤولية أسن من آخرين ابيض

شعرهم!

حسن : صحيح.

نور : العمر الحقيقي للإنسان لا يقدر بالسنين وطولها، وإنما

بالأحداث وعمقها.

فهي من كثرة أحداث حياتها تريد أن تبكي، تريد أن تتحرر من تلك الأحزان الجاثمة على صدرها، كانت تبحث عن إنسان، عن أمان، وليس عن طمعان؛ لتؤد عنده أحزانها، إنسان تطلعه على عورة نفسها دون أن يساومها، حبيب يستر ولا يبتز أسرارها، ولا يستغل تجردها من أقنعة القوة المزيفة، فأعلى الرفاق من تأمن خصامه أكثر من صفائه ووده .

بدأت تحكي عن أمها وآلام فراقها وهي في المرحلة الثانوية بعد إصابتها بسرطان الثدي، وعن العمليات المتتالية ورؤية أمها متألمة لفترة طويلة في حياتها، وعن أبيها الذي لحق بها سريعاً بعد صراع مع الضغط انتهى بنزيف في المخ، وتوالت الصدمات، حتى تلك الأموال الكثيرة التي ورثتها تحولت إلى نقمة، وكانت مصدر صدمات متتالية في كل من حولها من الطامعين من الأهل والأقارب والخلان، بل من لم يطمع في مالها كان طامعاً في جمالها، بدأ شعور العزلة والخوف من حياة الغابة يتنامى داخلها، فهي لم تعانِ من آلام مادية، بل كانت تعاني من آلام نفسية، لم تعانِ من نقص في شيء إلا من الأمان، كل شيء متوفر إلا الثقة، تلك التي كانت تنقب عنها وكأنها تبحث عن سمكة في الهواء، سالت دموعها، وبيع بعض الحنان جففاً حسن، كانت كلما نزلت منها دمعة يزداد صباها، تزداد بهاءً، تدفن أشجاراً لينمو على قبورها أشجار تزين نفسها وتجعلها أكثر شباباً وإقبالاً على الحياة، وكانت تقول: «كأني بتحرر منها، كأني بتولد من جديد» فالدموع كالصخور، ما إن وضعتها من عينيك حتى شعرت بخفة الحياة، وذهبت أبعدها في وديان الأفراح.

كلما سقط جزء من أحزانها شعر حسن بالضآلة، وكأنها هي الرجل الذي يحمل حمل الجبال، حتى هي في بحثها عنه عانت، احتاجت إلى التنقيب عن شيء جيد في ذاك العرييد "الهلاس"، هي ذات نظرة ثابتة بأن لاحظت أشياء فيه كان هو نسيها عن نفسه، كان يذهل حينما تصفه بأنه فارس ونبيل، بأنه صاحب مبادئ، هو فعلاً كان صاحب مبادئ قديماً، فما يفعله من عريدة إنما هو في الحقيقة يأس كان قد وصل إليه في السنوات الأولى من الكلية، فكان كلما تحدث عن مبادئ وأفكار يمله الناس، بل ينفضون من حوله، كلما تفلسف كرهوه، فيأس من الإصلاح، وتحول إلى إنسان تافه "هلاس"، فهو اجتماعي، لا يريد أن يعزله الناس، فعل ما يريده الناس وبرع فيه، وصار أكثرهم تفاهة كما يريدون منه، لا أكثرهم فكراً كما يريد هو، فعلاً يحيا بسلوك إنسان آخر غيره، ولكن ذاك هو المطلوب، هو ما يحقق له اجتماع الناس، ما يحقق عدم استيائهم منه.

كانت تلك الاكتشافات لنور بمثابة علاقة جديدة بينها وبينه، فهو لم يعد يتحداها ولا حتى يريد حبها، بل هي ذاك الإنسان الذي اكتشفه، هي من طورته وأخرجت منه إمكانيات لم يكن يعلمها، أنقلته، أكسبته جزءاً كبيراً من الحكمة، باتت تلعب دور المعلم في حياته، لكنه يشعر بالضآلة فهو لا يعطيها شيئاً، وكأنها الجزء المفقود منه، هي بكرم تسد كل فراغات شخصيته لدرجة أنه يشعر أنها مكتملة، لا تحتاج منه شيئاً، بات يراها شيئاً كبيراً.

نور : انت جزيرة في بحر واسع باخذ نفسي عليها، أنا مستعدة

أديك عمري كله مش مجرد أتجوزك .

لم يقتنع حسن، وكأن تلك الأنثى ترضي غروره حين شعرت أنه لا يعطيها شيئاً، وكأنها تقول تلك الكلمات من قبيل العطف الإنساني: دا أنا؟!

نور : بقولك أنا حسيت معاك بالأمان .

حسن : إنسي بقى السواد اللي في حياتك ده.

نور : من كتر السواد بقيت أحس إن الألم هو الأساس في الدنيا .

فرقة الألم تكسبه لقب الونيس والرفيق، وتجعل له حق العشرة، متحايلاً على الأمر، وفي محاولة لأن يرد لها شيئاً، يحاول أن يداعبها بما يملك من حيل، يريد أن يضفي بعض الضحكات على شفيتها، أو ربما مل من رفقة ألمها، فهو لا يهوى مجالسته كثيراً.

حسن : وإيه بقى اللي عجبك فيا؟

نور بابتسام : مش هاعكسك.

حسن : لأ صحيح.

نور : أهم حاجه إنك راجل بجد بحس معاه بالأمان.

حسن : بالأمان من أنهبي اتجاه يعني؟

نور : مخلص بجد مش طمعان، ولا بتاع مصلحه.

حسن : وعرفتي إزاي؟

نور : في موقف، دماغى وقفت من كتر التفكير، سألتك وعملت

بنصيحتك، تابعت وبقيت أسألك وأنا عارفه الأجابة الصح لقيتك  
بتنصح بجد .

حسن : دا أنا متراقب بقى .

نور : والأهم إنك مبتقاش عايز مقابل، أو حتى بتمن عليا، زي ما  
اتعودت في اللي بينصحوني .

حسن : ما انا عايز اتجوزك أهوه .

نور : لا انت حبتني، خطبتني من قبل ما تعرف أنا غنية ولا  
فقيرة، إنت خطبتني عشاني أنا .

حسن : آه صحيح، ده انتي مذاكره .

نور : معنى إنك تحترق كل الأسوار اللي بنيتها وتحترق كل القواعد،  
تبقى صادق مش طمعان .

حسن : لا أنا طمعان .

نور : أنا كلي لك .

حسن : لا أنا طمعان بس في شوية فرحة، ولا ما فيش عندك؟

نور بابتسامه : لا أنا بس بفضي المخازن القديمة عشان تملها بايدك  
يا حبيبي .

حسن : كفايه فلسفة، ارحمي نفسك .

نور مبتسمة : الفلسفة مش شيء وحش، ولا حاجه ترفهية ولا  
منفصلة عن الحياة .

حسن بامتعاظ : أو مال ايه؟

نور : الفلسفة هي الفكر المجرد للأمور، إنك تفهم قواعد اللعبة وتتحكم في النتائج، وده في كل شيء في الحياه بدءاً من الطب والحب حتى الزراعة، الفلسفة إنك تفكر وتفهم وتتأثر.

استمرت اللقاءات ومحاولات حسن المستمرة في أن يضيفي المرح والفرحة على حياتها، وفي مكتب العمليات كانوا في انتظار أن تحضر الحالة، فسألها بدعابة عن عدم انحرافها رغم أن كل الطرق متاحة لديها، ابتسمت واحمرت نجلاً، ولكنها لقنته درساً جديداً بأن الانحراف مبدأ، أو بمعنى أصح صراع ما بين المبادئ والشهوة، وعندها المبادئ هي التي فازت، ولكنه كرر السؤال بشكل آخر:

حسن : أقصد مزاجك؟

نور : المزاج اهتمام، وعلى حسب ما تهتم تلاقي متعتك.

ولخصت له بأن أهم مشاكلها كانت في الخوف وعدم الثقة؛ لذا كان اهتمامها بالأمان والبحث عن بر آمن لبحر أحزانها الواسع المرهق، فهي تجد ضالتها في الإخلاص، متعتها حين يتعامل الناس معها دون أذى أو طمع.

حسن : واستمتعتي؟

نور : متعتي الحقيقية لقيتها معاك يا حبيبي.

وعن عدم تأثير تلك الأحداث الحزينة عليها ودخولها في يأس واكتئاب، أجابته بأن ثقته في الله كانت أكبر عائق بينها وبين اليأس،

فالله هو الذي يخرجها من المحنة تلو الأخرى دون أن تدري، وهذا علمها دومًا الاستعانة به، بالإضافة إلى أن طول فترة الأسى والحزن رفع لياقة التحمل لديها والتدرج في الصلابة وأكسبها مبدأ "لا يوجد مستحيل وإنما يوجد غياب رؤية" وإذا بناجي يدخل وبيده كوب من القهوة.

ناجي : إزاي يعني؟

نور : أهم حاجة في الأزمة تشخيصها وتحديد الهدف .

حسن : وبعدين؟

نور : الباقي سهل فالحل هو الخط الواصل ما بين المشكلة والهدف .

حسن : وده أسلوب ثابت؟

نور : لا يوجد طريق ثابت، وإنما يوجد هدف، والطريق هو ما ترسمه الأقدام أثناء السير إليه .

الوصول إلى الهدف يعد إنجازًا يضفي على الإنسان السعادة، وإن كان الطريق مرهقًا ومؤلمًا، فالألم في ظاهره عذاب، وفي باطنه رحمة، بل هو منحة إلهية، تثقل النفس كي تقوى على استئناف المسير في الدنيا، فالحزن ينقي النفس كما تصفي النار الذهب؛ فتزيده بريقًا كلما اشتدت، بل إنه الآلة الحقيقية للإبداع .

نور : فكلمة مر الإنسان بألم عظيم، جَبَّ ما قبله من آلام وكأنها لم تكن .

ناجي : طب أستأذن أنا يابهوات .

حسن بابتسامة: اتفضل يا ناجي باشا.

حسن : بس أنا ملاحظ نزعة دينية في أسلوبك في حين اللي

شوفك من بعيد يعتقد غير كده .

نور : لو إن الأمر بالشكل لكان كل الشيوخ في الجنة بدون عقاب،

وكل الناس في النار بدون حساب، مكنش يبقى في حاجة

اسمها توبة، أو مغفرة.

حسن : الله عليكي، كل يوم باكتشف فيكي حاجة جديدة.

نور : لا يا شيخ!

حسن : الأنثى الذكية أكثر جاذبية من تلك صاحبة الجسد

الجميل، ومن حظي أن تعجب بي أنثى اكتمل لديها جمال

لعقل والجسد.

نور : إنت تستاهل واحدة أحسن مني .

حسن : هي فين دي؟

نور : مش ماليه عينيك ولا إيه؟

حسن : هو حد ملا عيني غيرك؟

حسن :هي الحالة اتاخرت ليه؟ هاقوم اشوفها.

خرج حسن بعد تلك الدروس الدسمة يبحث عن لفافة تبغ،

لا عن الحالة، فقد أرهقه التركيز، وقد حرمت عليه النيكوتين في

حضرتها كوسيلة منها لإجباره على الإقلاع عن تلك العادة السيئة،  
ورضح هو لذلك، فهو إجبار يجبه، وهو أيضاً يجب خوفها عليه، بل  
حرصها عليه، وجد ناجي يعيد الحالة إلى غرفتها.

حسن : هتأجلها ليه؟

ناجي : قلت أركنها شويه يمحزوا لها دم لحد ما معاليك تخلص  
حصه الفلسفة.

حسن : بتزيط صح؟

ناجي : هو الحوار اللي سمعته ده حقيقي؟

حسن : إنت شايف إيه؟

ناجي : ياخسارتك.

حسن : ليه؟

ناجي : بقى حسن زينة الشباب نهايته تبقى على إيدين أرسطو؟

حسن : ماها يا واطي؟

ناجي : فين الحب؟ فين الليونة والمشاعر؟ فين الحياة؟

حسن يبقى صامتاً، وكأن ناجي مس جرحاً لا ينكره.

ناجي : تلايكم لما بتنحرفوا في الحوار بتكلموا عن فلسفة الزواج!

حسن : أيوه اتكلمنا عن فلسفه الزواج.

ناجي ضاحكاً : فعلاً ده انا بهزر، وقولتوا ايه؟

حسن : إن الزواج تواصل بشري من أجل السعادة.

ناجي : وهي فين السعادة في الكلام الناشف ده؟

حسن :هات سيجارة.

فعلاً للرفاق دور في تدابير القدر، فناجي هو من ساقه إليها بكلمة، وحسن الآن بدأ يتململ منها بكلمة منه أيضاً، كأنه قد ضاق صدره بما استوعبه من أحزانها، قد تكون أخطاءً بأن أفرغت حمل سنين الأحزان في مخازن لا تستوعب، قد تكون تلك المخازن استحييت من الرفض أو البوح بعدم الاستيعاب حتى انفجرت بكلمات هشة عابرة، ربما حن حسن لحياة الرغد من النساء.

ناجي : يعني من دينا لأرسطو؟

حسن مستاءً : يعنى أسيها؟

ناجي : مقلتش كده، بس فكها شويه.

حسن : أرجع لدينا يعني؟

ناجي : وليه؟ إحنا نجيب الليونة من المنبع.

حسن : إزاي؟

ناجي :أنا عازمك الليلة على سهرة نضيقة، تستعيد بيها حياتك،

وتنسى جو صديقي الفيلسوف اللي انت عايش فيه ده.

حسن : فين؟

ناجي :كباريه.

انزعج حسن، فالأمر يتصاعد بشكل درامي، هو عرييد، ولكن هنا في المستشفى، في حي الأطباء بين أصحاب المعاطف البيضاء، هو لم يصب إلا اللحم، لم يتجاوز فسادة شفتي دينا وذراعها، وهذا يجعله

طفلاً رضيعاً هناك في حي الانحلال بين أصحاب الملابس الشفافة، حتى إنه لم يصادف يوماً أن تعاطى مخدرات، فهو لم يتجاوز السيجارة أو المياه الغازية.  
ناجي : خلينا نجرب.

حدث جديد في حياة حسن، ليس التصاعد في الانحلال، وإنما الانفلات بعد الانضباط، فالانضباط له حلاوة، والانفلات بعده له أيضاً متعة، مذاق بكر، وللبكارة دوماً حلاوة، فهي الفاصل بين المعرفة بالشيء والجهل به، ولكل شيء بكارة تدعى أول مرة.  
وفي اليوم التالي، كانت السهرة سبباً في غيابهما عن العمل، التقوا خالد مساءً على المقهى.

ناجي : بس انت طلعت طري يا معلم، ضحكت علينا الغوازي، وطلعتنا ناشئين قدامهم.

حسن : هما يعني ولاد خالتك ولا قاطعين معاك معرفة؟

ناجي : تشرب حاجه ساقعة؟ طب جرب بيرة أو سيجارة ملفوفة.

حسن : ليه يعني؟

ناجي : اهوه تطول رقتنا في القعدة.

كان خالد معترضاً على ذهابهم للكباريه ورافضاً كل هذا العتاب.

خالد :ليه كده يا واطي؟

ناجي :خليه يفك شوية.

خالد: ما صدقنا حاله انظبط وشكري شاله من دماغه.

ناجي : سيبه يعيش حياته ويعرف ناس طرية.  
خالد : يعني هو لازم تبقى غازية عشان تعجب؟! ماتسيبه يعرف  
ناس محترمة.

ناجي : بتوع فلسفه؟!  
خالد : خلاص نجوزه دينا.

ناجي : ماينفعش .  
خالد : ومافيش دكتوره دينا، ولو في برضه مش هينفع لأنك  
هتشك فيها برضه.

ناجي : عايز تقول إن العيب فينا؟!

دارت معركة كلامية حول تبادلية الإمتاع البشري فيما أساءه ناجي  
نظرية الغازية والولية، وأن الله خلق الإنسان ليسعد لا ليشقى، وخلق  
له حواء ليسكن إليها، والسكن درجات أعلاها الطمانينة والأمن،  
وأول الطريق إليه المودة والرحمة، وخفض كل منهما جناحه للآخر،  
فكأن الرجل والمرأة روح واحدة في جسدين، أو روحان يتكاملان في  
وحدة تُدعى الوحدة الإنسانية، فكل منهما عضو في جسد الآخر،  
يتأخر ظهوره لحين الزواج يكمله، وتحيا الوحدة الإنسانية في سكن.

ناجي : سكن! ده كل الرجاله المتجوزين تقريباً بيشتكوا.

خالد: ما الستات كان بتشتكي.

ناجي: الوليه من دول تضرب القمطة على دماغها زي الإريال وتقولك  
إنت مابتجنبيش ليه؟ وتحرم عليك تبص لواحد شكلها حلو!

خالد: وبتربط بيها ليه لما هي ولية وضاربة بوز. ما تتجوز غازية  
من الأول؟

حسن: المشكلة في طريقة التواصل، في طريقة العرض، ما الغازية  
والولية الاتنين ستات.

ناجي: أيوه بس الغازية الحياة معاها طرية وحلوة، أما الولية تقصر  
العمر.

نظرية الغازية والولية كانت محل جدل واسع بينهم، فالأنثى  
متعددة الأوجه، هي كما تريد، فانظر في نفسك قبل أن تقيّمها، فهي  
جميلة، طرية، بشوشة، غازية لصاحب مزاجها، قبيحة، شرسة،  
عابسة، ولية لمالك شأنها، وكذا الرجل، حالم، عاشق لصاحبة  
مزاجه، عابس، يائس لمالكة عقده، فُطرا في الوحدة الإنسانية ذكراً  
وأنثى، خُلقا ليتكاملا لا ليتنافرا، وعلى قدر الزرع يكون الحصاد،  
فليُنظر كل طرف أي بذور رمى قبل موسم الجني، فعلى قدر العطاء  
يكون الوفاء.

الغريب أن حصاد الوحدة غالبًا هو الجفاء ومزيد من العناء،  
والأصل في ذلك أن الكل ينتظر الربح من الآخر وينسى العطاء  
للعلاقة، فهي أرض قاحلة لا بذور فيها، فن أين لها بالثمار؟! الكل  
ينتظر ما له من حقوق وينسى ما عليه من واجبات. انفض الجمع  
ولم يقتنع أحد، وبقي حسن في منطقة وسط ما بين دينا ونور، إلا  
أنه أكثر انحيازًا لنور، ذاك الجبل الواقف الشامخ على دينا، هذا

السهل المنبسطح.

صدر قرار من د/ عوض بنقل دينا من قسم النساء إلى قسم الباطنة العامة، استعانت بحسن، ولكنه أخبرها بحساسية موقفه، وعدم قدرته على الوساطة خشية من غيرة نور، أخبرها أن شكري يمكنه أن يتوسط، فعلاقته بالمدير طيبة، وهو لا يرفض له طلبًا.

دينا: وانا عملت إيه؟

شكري: الحالة اشتكت منك.

دينا: مش لدرجه النقل.

شكري: ما ليش فيه ده قرار المدير.

دينا: والحل؟

شكري: روحيله.

وبالفعل، قبل د/ عوض طلب دينا وألغى قرار النقل، فهي لا تريد أن تبرح قسم النساء، فقد لبثت فيه فترة من الزمن منذ تعيينها تقريبًا، وكأنها تخصصت في تريض النساء، وأيضًا هي تهوى رفقة حسن، الذي كلما مال إليها لا يلبث أن يعود مهرولًا إلى نور «باحس إنها مش غريبه..... من أول مره شوفتها فيها وأنا حاسس إننا اتقابلنا قبل كده، مش أول مرة» كان ناجي يعمل ذلك بأنها أمور نفسية يطلق عليها علماء النفسية «ظاهرة الدي جا فو» إلا أن حسن لم يكن يقتنع ويظل مصممًا على أنه ثمة لقاءات ومعرفة بينهما قبل أن يلتقيا، هذا ما كان يبرر به موقفه وصبره على يبوسها.

حسن: هي ناشفه فعلاً، لكن ما اقدرش أستغنى عنها.  
ناجي: انت اتسرت، الواحد يلزمه واحدة تهتم بيه، نغشه مش  
ناشفه.

خالد: وليه ماتقولش إنك حبيتها وتبطل كبر؟  
ناجي: هو ده يعرف الحب؟ ده فاجر.  
خالد: اهوه عرف الحب يا سيدي، وجاتله اللي تتوبه، سيبه يشوف  
مصلحته يا واطي.

كلمات بدأت تهدأ بها نفس حسن وتركن إلى نور، وأيضاً ألجمت  
وسوسة ناجي، نصحه خالد بأن يجرها إلى المرح إن أراد الفرح، فقد  
لا تكون تعرفه، فلماذا كل شيء عليها هي؟ انخرطوا في العمل وفي  
أثناء عملية ولادة:

حسن: عايزك تخطب وتتجوز إنت كان يا ناجي.

ناجي: وليه أجيب واحده تتكد عليا؟

نور: الجواز مش للغم الجواز سعادة.

ناجي: تقريباً ما فيش حد متجوز بيشكر في الموضوع.

نور: بيخزوا العين، أومال متجوزين ليه؟

ناجي: أنا مش ناقص، حياتي مليانه غم.

نور: يا ساتر إيه السواد ده؟

حسن مبتسماً: لا ياشيخه!

ضحك الجميع، حسن: هو أنا صدعت ولا جعان؟  
ناجي : احنا مفطرناش أصلاً.

استمرت النقاشات والحوارات الساخرة حينًا والفلسفية حينًا  
آخر، تتعالى الضحكات تارة ويعم الصمت تارة أخرى، انتهت  
ولادتان وانصرفت نور، واستأنف حسن وناجي العمل حتى بعد  
العصر، الإرهاق والجوع ريفقان يأسران الإنسان، بل ويخرجانه من  
إنسانيته فاقداً رشده وعقله، ويجعلانه للأحزان طوعاً، أحضرت نور  
الطعام.

حسن بامتان : إيه ده كله؟

نور : أنا طلبتلك فطيرة باللحمة المفرومة زي ما بتحب، وبالتونة  
لناجي زي ما بيحب.

ناجي : أصيلة يا نور، الله يباركك يا حسن بيه.

نور : أنا اتضايقت إنكم لسه ما فطرتوش، بس أنا من بكره هجيب  
الفطار معايا من البيت.

ناجي : ربنا يسترك، بس ليه مانجيب من هنا؟

نور : مستوى الأكل هنا مايليقش بيكم، بس دي حاجه مؤقتة لحد  
ما نروح نتغدى.

ناجي :هو لسه في غدا؟

نور : أنا حجزت في مطعم السمك اللي قدامنا على الكورنيش  
وقولتلهم يجهزوا الأكل لحد ما تخلصوا.

ناجي : فعلاً بنت حلال، حقيقي الله يباركك يا عم حسن.

ليس حقيقياً أن المعدة مفتاح الرجل، وإنما الاهتمام وحده هو مفتاح أي إنسان، أن تعرف ما يحب وما يكره؛ ومن ثم تزيد فيما يحب وتقلل فيما يكره إن أردته حبيباً، والعكس إن كان عليك بغيضاً، أو اتركه إن كان عندك زهيداً، فقط الاهتمام هو مفتاح السعادة، ولكن علينا أولاً أن نحدد من هو الأول بالاهتمام، ثم نكون له مخلصين.

بدأت تقص له سبب انفصالها عن خطيبها الأول عثمان سعيد، المعيد في الكلية، ذاك الذي وطئ حياتها قبله، لاحظت يوماً أنه يسب أمه في التليفون؛ فبدأت تراقب حاله؛ حيث يبدو إنه إنسان ذو مبادئ! وبمرور الوقت، اكتشفت أنه يكتب تقارير لضابط الأمن في كل زملائه وأساتذته، وطلبت منه الانفصال، ولكنه استمر في مطاردتها، ولم يمنعها منه إلا مكالمة تليفونية من جارها إلى ضابط الكلية، صُدمت في أمره لأنها كانت تجعله قدوتها.

نور : الصدمة وحشة.

حسن : يا عيني! النسوان بتشوف كتير.

نور : ما اسمهاش نسوان.

حسن : أو مال اسمها إيه؟

نور : بنات.

حسن : ما هم لما بييجوا عندي مايبيقوش بنات.

نور : اهوہ كده وخلص .

حسن : عمومًا بكره تبقي نسوان .

نور : قولتلك بكره الكلمة دي .

مرت فترة الخطبة سريعًا، امتزجت فيها روحهما، تعانق فيها عقلمها، وها هو يوم عقد القران الذي لا يفصله عن الفرح إلا أسبوعان، ولكنها لم تكمل حاجاتها بعد، داهمهم الوقت، ولكنها تصارع الوقت، لا تنام تقريبًا، تريد أن تتمم كل شيء، كثرة الطلبات أحيانًا تصيب العقل بشلل، بتوقف .

هي إحدى السيارات الكبيرة، سيارة (تريلا) كانت صاحبة القرار في إنهاء كل هذه المهرولة، حسمت كل هذا الصراع مع الوقت، وضعت تلك (التريلا) لمستها حيث سال الدم من أنف وفم نور، انفصل ذراعها الأيمن عن جسدها، ولم يعد لفكيها من أسنان، حضرت إلى المستشفى وقد رحلت عن دنيانا، وسرعان ما وصل الخبر لحسن الذي أصبح زليلاً للرعاية المركزة، كانت الدنيا تتأهب لفرحهما، كان الرفاق يستعدون لليلة الزفاف، كانت الجنازة تعج بالحبين في مشهد ميب يليق بوداع قائد، معلم، إنسان مؤثر، الحزن خيم على المكان، وبعد الدفن، إذا بعمها يحضر إلى د/ محمد صبري.

العم : هو صحيح كتب كتابه بس مالوش ورث.

د/ محمد : البقية في حياتك.

العم : مش هسيب عشرين مليون جنيهه يرحوا بحتة ورقة.

ناجي : حسن لسه في المستشفى.

العم : ماليش فيه اللي عايز يحزن يحزن.

ناجي : سبحان الله! يعني اللي بينه وبينها أكبر من الدم اللي بينكم؟

خالد: إحنا جاين نودعها وحسن هو صاحب القرار. بعد

إذنك.

بدأ الأطباء يطمئنون على حسن الذي استقرت حالته تقريباً، ولم يبق له من الشلل في حركة الأطراف إلا ما أجمع الأطباء أنه لأسباب نفسية، وسرعان ما ينفرج ببعض جلسات العلاج الطبيعي، اعتاد رفاقه أن يذهبوا إليه في الصباح ليحضره للجلسة، شهر

دامت فيه الجلسات، لم يتفوه بكلمه واحده معهم، لم تلمس شفاته  
إلا السجائر وبعض المأكولات.

تبدل حاله من النضارة والفرحة، إلى الضمور والشقاء والبؤس،  
كان إحساسه بفقدانها مريراً، تلك الإنسانة التي اكتشفتها وجذبتة،  
التي عشقها، التي عدلتة وطورته، كان يتأهب للاستمتاع بها  
وإسعادها، يشعر أنه لم يعطها اهتماماً كما أولته هي، نقتبت عنه وعن  
الإنسان بداخله، هي من بذلت، وهو من قصر وتقاعس، هي الدنيا،  
الامتحان المستمر، ومن صعوبته أنك لا تعرف مدى وقته، متى  
سيتم سحب ورقة الإجابة؟ على الإنسان أن يكون مستعداً دوماً،  
فما هو حسن يريد أن يجيب، يريد أن يعطي، يريد أن يحسن،  
ولكن انتهى كل شيء، الإحساس بالتقصير، بالفراق. أحاسيس لم يعد  
يتحملها، كان بإمكانه أن يكون بليد المشاعر، ولكن هناك قبل أن  
يلقاها وتعيد بث الإنسان فيه.

ناجي : أنا خايف عليه.

خالد : إن شاء الله يعدي من الأزمة على خير.

ناجي : ممكن يجرى له حاجه.

خالد: الله يرحمها، كانت بميت راجل، ولولا وجود حسن كنت  
بنيت لها تمثال واعتبرته رمز للأنثى التي لا يليق بها رجل.

ناجي : يا ريتته ما كان قابلها.

خالد : الله يكون في عونته.

ناجي : ربنا يلفظ بيه.

وفي ذات صباح، ذهب إليه الرفاق، لكنهم لم يجدوه .

لم تكن نور الحسيني شخصًا عاديًا، فهي كالجبال العاتية، لا يمكن إهمالها ولا التغاضي عن دورها، فبين الناس من يأتي ويرحل دون أن يشعر به أحد، وقلائل من الناس من تشعر بتأثيرهم إن هم نزلوا الحي، وأيضًا لهم بالغ التأثير إن هم رحلوا. ها هو حسن تبدل حاله منذ اليوم الأول الذي حلت فيه نور على المستشفى، وأيضًا انطفأ نوره حين رحلت، حتى دينا التي كانت ترفض وتستमित ضد النقل التعسفي الذي تعرضت له. اليوم تتقدم بطلب نقل من قسم النساء، وترضى بأي موقع يُسند إليها، أثار هذا الطلب فضول د/شكري . بالأمس رفضت النقل واخترقت الأوامر، واليوم تطلبه طواعية .

شكري : في إيه؟

دينا : عايزه أتقل .

شكري : أيوه قرئت، عندك مشاكل؟

دينا : لا، المكان بقي بيخنقني .

زادت الإجابة فضول شكري، ولكن أمام رغبتها لا يملك إلا أنيمرر الطلب إلى المدير مع التأشير عليه «عرض برجاء الموافقة... بناء على رغبتها» وبالفعل لم يلبث د/ عوض كثيرًا ونقلها إلى قسم الباطنة .

زاد شغف وقلق خالد وناجي، حتى شكري بات يسأل عن حسن .

شكري : هو عامل إيه؟ حد بيسأل عليه؟

خالد : هوه كويس بس بقالنا فتره ما حدش شافه .

شكري : طب ما تسألوا عليه والده.

ناجي : بيقول إنه بينزل من الصبح ويرجع آخر الليل.

خالد : بيقول إنه ربي دقنه.

شكري : ربنا يهديه، هوه بس مهزوز نفسيًا.

سائر الزملاء، حبيب وعدو، متعاطف وشامت، لا يملون السؤال عن حسن، فقد كانت لقصته صيت ذائع في المستشفى ، ومع نهاية نور عبرة تعاطف معها الجميع، كان حسن غارقاً في صراعه مع الألم والحزن، يسترجع الذكريات، يندم على تقصيره في الإخلاص لها، هي التي عانت كثيراً وأعطته أكثر، وهو من كان متراخياً، مرت بحياة صعبة حتى في بحثها عن رفيق وحبيب، استقرت هي عليه، وهو لم يكن قد حسم أمره .

حسن: واحشني يا عرفه.

عرفه: عظم الله أجرك وألهمك الصبر والسلوان.

حسن: عايز أقعد معاك شويه.

عرفه: لي عظيم الشرف، في أي وقت.

حسن: أجازتك إمتي؟

عرفه: بعد صلاة الجمعة.

حسن: خلاص، أنا حاجزك ساعتين بعد صلاة العشاء يوم الجمعة.

استمر حسن في صراعه مع تلك الأسئلة التي كادت تلقي به في بئر عميقة من الجنون، بل وصار على أعتاب الكفر. لماذا هي؟ لماذا الآن؟ هل ماتت حقًا؟ أم أنه حلم؟ أسئلة تطارده، لا ينام إلا قليلاً، كم هو مؤلم أن يرافق الإنسان الفكر! أن يكون رفاقه أسئلة كهذه تحلق في فضاء عقله كأموج البحر العاتية، كانت رؤية عرفة السباعي بمثابة قارب النجاة من تلك الأطروحات الشيطانية التي وجدت من مرارة الإحساس بالذنب وألم الفراق بيئة خصبة للنمو.

الشيخ عرفة، ابن الأربعة والثلاثين عامًا، ذو اللحية المهذبة والوجه الأبيض، صاحب درجة الدكتوراه، جاره وصديقه القديم في ملاعب كرة القدم، صداقة وملاعب تحطمت بمشاغل الحياة، ولكن تبقى ذكرياتها بيضاء، تحمل الود للطرفين، عرفه كان القشة التي تعلق بها حسن مستجمعًا تلايب عقله، وشظايا الإرادة المتناثرة بين أركانها، التقاه صدفة، بل هو طوق نجاة، فالصدفة لا تختلف كثيرًا عن اللقاء، كلاهما حدث مقدر ومكتوب، ولكن الصدفة لقاء إجباري غير متفق عليه، بل هي منحة إلهية لتعديل مسار الحياة، كانت الجمعة، والتقى حسن بذلك الشيخ البشوش ذي الطلعة البهية، قص ما آل إليه حاله، وعن تلك الأسئلة المجرمة التي تطارده، ولكنه لا يقوى على الفرار منها، فهو أسير الحزن، بل وزاد عليها هل هي معذبة أم منعمة؟ لماذا يحيا بكل هذه الآلام؟ أين ذهبت؟!

حاول عرفة جاهداً أن يمسك ببقايا إيمانه وعقله مهدتاً  
إياه:.. «للإنسان حياة يقضيها، ثم يرحل إلى البرزخ، وتلك أيضاً  
حياة، يطلع أهلها علينا، هم لنا سابقون، ونحن بهم يوماً لاحقون».

غلب تعاطف عرفة وإشفاقه على نصحه، وصل مع حسن  
إلى نقطة هدوء نسبية، بدأ يحدثه عن الشيخ جلال درويش،  
ذي الصيت الواسع، والعلم الغزير في دراسة الموت وأحواله، بل  
له سلسلة كتب في هذا المجال أشهرها «العذاب قبل الحساب»  
لقاءاته التليفزيونية ذات النسبة العالية من المشاهدة، أقر حسن  
ذلك بأنه من المتابعين الجيدين له في الفترة الأخيرة، لكن يصعب  
تحديد لقاء وميعاد مع الشيخ جلال لضيق وقته وانشغاله، كان  
الحل عند عرفة، فهو ذو علاقة طيبة وقوية مع جلال، وهو أستاذه  
على الرغم من أنه لا يكبره كثيراً.

لم يطل الانتظار، ولم يجد الشيطان متسعاً من الوقت ليعبث برأس  
حسن كثيراً.. بعد يومين دخل حسن على الشيخ جلال مباحثاً،  
قلبه يرتعد من هيبة العلماء، زاد هذا الارتباك تحرك تلك العمدة  
الحمراء، والقفطان الأزرق، واللحية الخفيفة على بشرة ابيضت من  
النور، أمر كبير أن يتواضع عالم بهذا الحجم ليلتقي حسن عند  
الباب، كان للتواضع بالغ التأثير في انجذابه قبل الحديث مع الشيخ  
جلال أصلاً.. عزاه الشيخ.

جلال: عرفه حكى لي عنك وعن حالك.

حسن: عرفه إنسان محترم وأخ فاضل.

جلال: هو أيضًا عندي بمثابة الأخ، بل وأحسبه إمام الأمة القادم إن شاء الله.

عرفة: لا تردني عن قدري يا مولانا، فأنت قدوتنا في التواضع قبل العلم.

حسن: كاد الشيطان أن يرمي بعقلي في بئر من الجنون.

جلال: هوّن عليك أيها الطيب.

حسن: ارتبطت بها جدًّا.

جلال: للفراق آلام لا ينكرها أحد، والموت علينا مكتوب وبأوان منذ خلق الله آدم.

حسن: ونعم بالله، التقيت بها صدفة، صدفة أودت بحياتي إلى حافة الجنون.

جلال: لا توجد صدف، فكل شيء مقسوم، أولاً تعلم أن الله مسح على ظهر آدم وأطلععه على أرواح ذريته جميعًا؟! حتى إنه سأل عن عمر ابنه داود -عليه السلام- فأخبره الله. فلا تحزن، ذاك هو عمرها ما هو مقدر لها.

حسن: فراقها صعب.

جلال: هون عليك، فإن كنت لا تراها فهي تراك، ألا تعلم أن الأرواح تتلاقى وتتزاور؟ وإن لم تكن تراها عيوننا، فإن فقدت الالتقاء بها مادياً، فتواصل معها روحياً، عساك يوماً تلقاها.

حسن بشغف: إمتي؟

جلال بابتسام : عسى الله أن يجمعك بها، ويزوجك إياها في الجنة  
إن شاء الله .

انتهى كوب الليمون، وكذا الجلسة، بتلك الكلمات ازدحمت  
الأسئلة القديمة بأخرى جديدة، انصرف حسن واستأذن الشيخ  
جلال في تكرار الزيارة، أصبحت متابعة جلال جزءًا من حياته،  
دروسه ولقاءاته، تحول تدريجيًا إلى أحد تلاميذه، اعتاد الذهاب  
إلى مكتبة المسجد الكبير المجاور لمنزله في حالة عدم وجود درس  
مع جلال، استهوته الدروس عن الروح، العذاب، والموت، وهذا  
الأسلوب الرائع للشيخ جلال في توصيل المعلومة.

بدأ يجمع مادة علمية منه ومن الكتب، ويرتبها باحثًا عن  
ضالته، عن حبيبته، ما دام يمكن الزواج منها في الجنة، فلماذا لا  
يتزوجها الآن؟ ما هو الزواج أصلاً؟ ما دامت الأرواح خلقت قديمًا  
معًا، وتبعث للحساب في الآخره معًا، فأعمارها إذن واحدة، هي  
متصلة، هي محطات تمر عليها الروح، وإن كنا لا ندري تلك المحطة  
القادمة، فهي -لا شك- تشبه السابقة، هي -لا ضير- متشابهة، وإن  
كان هناك بعض الاختلاف. فما هو التشابه؟ بل ما هو الاختلاف؟

بل ما هي المحطة السابقة؟ ما هي القادمة؟ بل الأخرى: ماهي  
المحطة التي نحن فيها أصلاً؟ نحن في الدنيا، هذه نعلمها، ولكن لا  
نعلم ما هي المحطة السابقة أو حتى اللاحقة، نعم، الأفضل أن نسأل  
عن المعلوم، فإن كنا في الدنيا فنحن أصلاً؟ نحن أناس، وما  
الإنسان؟ الإنسان جسد وروح، لكن الروح علمها عند ربي، ولا قبل

لنا بها نحن الآدميين، لا تشريحياً ولا وظيفياً، هي إجماز الله في خلقه، لم يطلع عليها أحداً، ولو أطلع أحداً من الناس عليها، لكان أنبياءه أولى، الروح لا قبل لنا بالبحث فيها.

يبقى لنا البحث عن الجسد الذي نعلمه، ولكن الدنيا محطة ليست بالأخيرة؟ فهناك الدار الآخرة، أيضاً ليست الدنيا هي الدار الأولى؛ بالتالي هناك دار أولى سابقة على الدنيا، فأين كنا؟ كنا أجنة في بطون أمهاتنا، إن كان الإنسان في الدنيا عبارة عن جسد وروح، فإن الجنين أيضاً روح وجسد، إن كان توصيف الحياة في الدنيا يعني الأكل، الشرب، التحرك، التنفس، والظائف الحيوية، فالجنين أيضاً له نفس الصفات، ولكن بشكل أبسط، إن كان توصيف الحياة بتلك الأمور فإنها تتشابه مع الأجنة، بل مع الحيوانات المنوية، فهي كائنات حية مثلنا نحن الدنيويين، عالم الأجنة هو المحطة السابقة، وعالم المنويين هو المحطة الأسبق .

إن كنا نحن الدنيويين نعيش على الأرض فهل لهم من أرض؟! أين يعيش أصحاب العوالم السابقة؟! يعيش الحيوان المنوي في الخصية، والبويضة تعيش في المبيض، الجنين يعيش في الرحم، صدفة أو اكتشاف أذهل حسن، من أن الخصية، والمبيض، والرحم، والأرض لها نفس الشكل تقريباً مع اختلاف الحجم، اختلاف الحجم أيضاً أذهله، فإن كل أرض مصممة تقريباً على حجم الجسد الذي يحمل الروح، نعم للأراضي نفس الشكل البيضاوي تقريباً.

بلغنا سلطان العلم من إدراك هذا، المنويون والأجنة، كائنات حية مثلنا نحن الدنيويين، بل لهم حياة، بلغنا سلطان العلم من رؤية تلك الأجساد التي تحمل الروح في هذه العوالم، ولكنه لم يمكننا من رؤية تلك الأجساد التي تحمل الروح قبلهم، يومًا ما قد يبلغنا إن شاء الله.

اختلاف حجم الجسد وحجم الأرض من عالم لآخر، ساق حسن الى أن الأمر متشابه، ولكن يتجه نحو الزيادة بزيادة الدار أو الطور الإنساني، فالإنسان من حيوان منوي وبويضة، لا يمكن رؤيته، إلى جنين أكبر يمكن رؤيته، ثم إلى دنيوي أكبر حجمًا من السابقين إلى برزخي، ربما يكون أكبر حجمًا من كل السابقين، هي رحلة الروح عبر الأطوار، تسطر لإعجاز الله وإبداعه، وأنه لم يخلق شيئًا عبثًا، وأن كل شيء لديه بقدر، وإن لم نكن نفهم.

هي الأرواح، خلقها الله قديمًا معًا في النقطة صفر من العمر البشري، وتبعث للحساب في الآخرة معًا في النقطة ١٠٠، فأعمارهم جميعًا واحدة، هي مائة نقطة زمنية، ولكن الاختلاف في المدة التي تقضيها كل روح في كل دار، الاختلاف في تزامن الأرواح أو تعاقبها في كل دار.

من أتى الدنيا قديمًا يحيا أكثر في الحياة البرزخية، ولكن من أتى حديثًا أين كان؟ لا بد أن هناك دارًا أو دورًا قبل الدار المنوية، ربما ولكن لا زهاها، فنحن لا نرى الروح، وإنما نرى سلوكها على الجسد الذي يحملها، وإن لم نكن قد تمكنا من رؤية الجسد الذي يحملها

قبل الحياة المنوية، فلتكن الحياة ( X ) أو الظلماء أو حتى الحياة الخلفية، وهي تلك الرحلة التي تقطعها الروح منذ خلقها مع آدم عليه السلام- إلى الظهور هناك في الحياة المنوية .

أكد هناك حياة، وإن لم نكن نرى جسدها الآن، فالأصل في الحياة هي الروح وليس الجسد، الجسد ما هو إلا شيء مادي ملموس تسير به الروح في الدار، فهو كدابة تركبها الروح إلى أن تغادر هذا الطور، والدواب مختلفة من طور إلى آخر، فالروح تحيا في الحياة الخلقية إلى أن تموت هناك وتبعث في الحياة المنوية، ثم تموت في الحياة المنوية وتبعث في الحياة الجنينية، ثم تموت في الحياة الجنينية وتبعث في الدنيا، ثم تموت هنا في الدنيا وتبعث هناك في البرزخ، ثم تُبعث في الآخرة إن شاء الله.

النقطة ١٠٠

النقطة صفر



الحياة الخلقية      المنوية الجنينية الدنيا      البرزخ      الآخرة

الخلقية، المنوية، الجنينية، الدنيا، البرزخ، الآخرة. ست دور تمر بها الروح على قدر إيماننا وعلمنا حتى الآن، تستعمل ما قدر الله لها من الأجساد في كل دار.

المنوية، والجنينية، والدنيا، دور متعاقبة متتالية متلازمة، وهي الأصغر والأقصر في عمر الروح، أما عن الآخرة، فهي ليست الآن،

تبقى الخلقية والبرزخية، وهما متضادتان في الطول، فهابيل ابن آدم يعيش في الحياة البرزخية أكثر من المولود في زماننا هذا، ولكن هابيل عاش في الحياة الخلقية أقل من المولود حديثاً، وفي النهاية العمر واحد، متساوٍ عند كل الأرواح، وإنما الاختلاف في التقديم والتأخير، في التعاقب والتزامن، في المدة التي تقضيها الروح في كل دار.

ولكن ما المرجح لمن يعيش هنا أو هناك قديماً أو حديثاً؟ ربما هي الأحداث التي تحدث، بل هي من تميز، فالعمر ليس سنين وحسب، وإنما عمر الإنسان في الدنيا هو مجموعة أحداث، تذكر حسن كلمات نور: الزمن هو الوقت أم هما مختلفان؟ الدقيقة وحدة ماذا فيهما؟! كيف يحدث تواصل بين الأطوار وبعضها؟! بل هل تلك الأطوار حقيقة أم فلسفة فارغة؟! حقيقتاً أم فلسفة فارغة؟!

طال بحث حسن، وغرق في بحر أسئلة لا تنتهي، فكان كلما حل لغزاً فُتح باب لبئراً من الأسئلة، تدفق غزير من الأفكار، لكن الأسئلة أكثر تدفقاً، والإبهام أكثر غزارةً، رحلة شاققة وطريق طويل مجهول الذي سلكه حسن للبحث عن ضالته، لكن هناك في المستشفى من يعتني بأمره.

د/ عوض : أهلاً يا إنجي، خير أؤمري.

إنجي : كنت عايزه أجازة أسبوع .

د/ عوض : تحت أمرك، خير؟

إنجي : لأ، عاوزه أريح أعصابي.

- د/ عوض مبتسماً : مش هترتاجي إلا لما تتجوزي.
- إنجي بنجل : كل شيء بأوان، بس أما يبي ابن الحلال.
- د/ عوض : سيد مين يتمناكي.
- إنجي بوجوم : شكراً لذوق حضرتك.
- د/ عوض : لا أنا مش بجاملك إنتي بنت ناس ودكتوره وجميلة،  
وفعلاً سيد مين يتمناكي.
- إنجي مبتسمة : شكراً.
- د/ عوض : أنا شغلتني هنا مش مجرد مدير، أنا مسئول عنكم، يهمني  
تكونوا مرتاحين نفسياً عشان تعرفوا تشتغلوا، إنتو زي ولادي.
- إنجي : حضرتك مش محتاج تقول كده، فعلاً حضرتك مهم بكل  
واحد فينا.
- د/ عوض : ما تزعليش مني بقى إني عايزك تتجوزي، إنتي تستاهلي  
كل خير.
- إنجي بوجوم : الله يخليك.
- د/ عوض : حسن ابن حلال ومحترم.
- إنجي منزجة : ربنا يوفقه.
- د/ عوض : أنا عارف إنك معجبه بيه، انتو فعلاً لايقين لبعض.
- إنجي مرتبكة : لأ ما فيش حاجه يا فندم.
- د/ عوض : كلام الناس عنه غيره منه يا بنتي.

إنجي : أنا مالي بيه يا دكتور .

د/ عوض : بطلي تنشيف دماغ ... ما تحرميش نفسك من السعادة.

خارت إنجي : أنا هارمي نفسي عليه؟

د/ عوض : شوفي نور عملت إيه؟

إنجي بضيق : أنا مش زيها.

د/ عوض : أحلى منها، بس دماغك ناشفة.

رحلت إنجي بعد الحصول على إجازة لمدة أسبوع، ولكن هذا الحوار لن يتركها في حالها، فلن تستطيع الذهاب إلى العين السخنة لتفرغ أحزان عشر سنوات في خليج السويس، ترمي حبها لحسن منذ اليوم الأول لها في الكلية؛ حيث وقعت عينها عليه وهو في العام السادس، لم تنسه، بل لم تفارق صورته خيال تلك الفتاة، قححة اللون، ذات الأصول الأرستوقراطية، انجذب لها وهلة من الزمن، ولكن سرعان ما زهداها؛ بحجة أنه لا يهوى تلك الفتيات التي تعلقت بالعلم حتى بهت عليها وجعلها كتبًا تمشي على الأرض .

كان يرى أن النساء نوعان، أحدهما لم ينضج بعد، ولا يزال يتمسك بالقيود، ولا جدوى منه في عالم المتعة، أما النوع الآخر من النساء الذي أدرك أن الكتب لا تقدم كثيرًا، فقد نضج، وهن نجوم عالم الفساد، كما كان يصنف فتيات الكلية، هو اختار لنفسه أن يقبع في حي الطلبة العرايب، ولا مكان لإنجي في شارع الفساد الذي انتهى به على يد نور الحسيني، تلك من حملته من حارة الرذيلة إلى شارع الانضباط، وكان لدينا شأن آخر معه في ميدان حياته، تركته معلقًا لا إلى هذا الشارع ينتمي، ولا في هذا الشارع يعيش، هو في فلك الحياة يدور، وإنجي أيضًا بدونه لا تعتبر على قيد الحياة، ملت نفسها من رحلة البحث عنه، بل إن ما دار بينها وبين المدير بمثابة منعطف مهم في تفكيرها، فلا بد لها من حسم أمرها، إما له، أو بعيدًا عنه، لكن د/ عوض لم يكن قد أهمل حال حسن .

د/ عوض : انتوا هتسيبوا الواد حسن كده يضيع مننا؟

خالد : والله صعبان عليا .... زي ما يكون اتخطف مننا.

د/ عوض : نور كانت تستاهل .... بس الحى أبقى من الميت.

خالد : قصدك إنجي .... مش عارف ليه مطنشها؟

د/ عوض : كويسه.

خالد : عارف وقولته عليها كتير ومن قبل نور كان.

د/ عوض : واديننا فيها ... كلمه يا سيدي ما ينسبش الراجل الواحده

غير واحده تانيه.

خالد : فعلاً يا ريس ... والله انت زي أبونا.

المبادئ والقيود ظلت لعقد من الزمان هي الحاجز بين اكتمال قصة حسن وإنجي، ولطالما مال إلى المرح، وكأن الأدب لا يسوق الفتيات إلى الزواج، وإنما هو من يزيد زبائن فتيات الليل، وإن أصبحن كفتيات الليل، ينفر الرجال من زواجهن، إشكالية يضعها الرجال في وجه النساء.

فالفرق بين فتيات الليل والزوجات، أن فتيات الليل قطاع عام، والزوجات قطاع خاص لرجل واحد فقط، ولكنه يهمل الخصوصية ويذهب للقطاع العام؛ فيزيد حزنها ويزيد غمها؛ فيهرب منها أكثر، وفتاة الليل لا مسئولية عليها، وإن لم تجد الإعجاب منك وجدته من غيرك، فهي دومًا في بهجة، والرجال حولها من كل اتجاه، وصاحبة العفة من حقها أيضًا أن تجد هذا الإعجاب، وكفاها روعة أنها لا تقبله من غيرك، وأن قليلًا من الإعجاب قد يرضيها، وربما لا تلتفت

إليه صاحبة القطاع العام .

ولكن سحقاً لمن أقنع أصحاب القطاع الخاص من النساء، بأن الدلع هو الحزن والوجه المقلوب، إنه بوابة العتاب، وكأنهن لا يفهمن غير سياسة "البوز الطويل" في الدلال، ولو أنهن بدأن مع الرجال من نقطة فرح لادخرن ما يبذله الرجال من طاقة لإزالة الحزن، واستغلت هذه الطاقة في مزيد من الفرح، إشكالية تعرقل بها النساء صفو الحياة، لم يبدا لها حلول حتى الآن، ولكن هي تماماً الحائل بين حسن وإنجي، انطلق حسن من عزله مزهواً بما توصل إليه من أفكار إلى المستشفى.

خالد: حمد الله على السلامه، واحشني يا بطل.

ناجي: الكل ببسال عليك.

حسن: آه فعلاً، أنا لقيت ترحاب من الجميع، من أول د/ عوض لحد عم سماعيل بوفيه.

ناجي: غيبتك طولت، كنت فين ياريس؟

حسن: كنت في رحله بدأت من عند الشيخ جلال درويش.

بدأ حسن يقص بروح المنتصر، يحكي عما توصل إليه من أفكار، وعن تلك الاكتشافات التي توصل إليها، التي تؤكد قدرة الله وإعجازه في كونه، مستجيداً عقولهم أن تكون له عوناً في رحلته... حكى أنه حزن؛ فانزوى؛ فتدبر، سمعوه بإنصات وتركيز شديدين.

ناجي : منويين إيه وبرزخ إيه يا ابني؟!

خالد : ماشي يا سيدي، الإنسان روح وجسد، والروح علمها عند ربي، بس هو ينفع دنيوي يعيش في حته تانيه غير الأرض؟!

حسن :أومال سيدنا يونس -عليه السلام- عاش في بطن الحوت إزاي؟! ولولا استغفاره لبقي في بطنه إلى يوم يبعثون، فبطن الحوت وقتها كانت أرض، وكان بنك الأجنه أكبر دليل.

خالد : إزاي؟!

حسن : ما الأجنه ممكن يتم حفظها لمدة سبع سنين في درجة حرارة مائتين تحت الصفر ... يمكن حفظه من اليوم الثالث ( ٨ خلايا ) أو من اليوم الخامس ( ٣٢ خليه ) .

ناجي : بالنسبة للبرزخ حياة إزاي؟! ما الإنسان مات!

حسن : وإن كانت لا حياة هناك، لماذا ندعو للمتوفي بمزيد من الأكل، والجنان، والحدايق والفاكهة؟! إن كان لا يتزوج هناك فلماذا ندعو له بزواج خير من زوجه؟

خالد : الدعاء ده للآخره والزواج برضو للآخره.

حسن : الدعاء يبدأ بالإفساح له في قبره مد بصره؛ وبالتالي بالدعاء للبرزخيين، ولا احنا بندعى دون أن ندري؟! أما عن الآخرة، ففيها حور عين، أخبرنا الله عنهم، وإن كان الإنسان مات فكيف يرى؟!

ناجي : دي فلسفة فارغه وهلفظه يا عم حسن. يشوف ايه؟

حسن : ليه يا عم ناجي؟! ألم تقرأ قول الله تعالى : (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ

مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) صدق الله العظيم. (سورة ق الآية: ٢٢)

إن كان قد مات، فكيف لا تموت حواسه؟! هذا يؤكد أيضاً أن الحواس في زيادة، كالحجم والأرض، بل إنه يؤكد فكرة الأطوار، فالديوي يرى أكثر من الجنين، والجنين حواسه أكبر من حواس المنوي، وكذا قد يكون البرزخي أحد بصرًا من الديوي .  
ناجي : بس ده مش التفسير .

حسن : أنا عملت داون لود لتفسير الشعراوي للآيه دي .

..لدرجة أن الناس الذين يصاحبون اللي بيحتضروا يشوفوا منهم أشياء ساعة الاحتضار تدل على أنهم يرون أشياء خلاف ما يراه الحاضرين .. أنا أبويا مات على صدري .. أنا اسمي أمين في الورق، ولما ابتدئت المسألة.. إذن ساعة الاحتضار شاهد أشياء إحنا ما بنشوفهاش .. ففسرت لنا: (لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ).

شوفت يا سي ناجي، قالك على تجربته شخصيه، وأبوه بيموت على صدره "قاله بقى يا أمين يبقى عندك القصور دي كلها ومتقوليش؟".

وفي الفيديو ده بيدل على إن الموتى يلتقون، ولكن في دائرة أخرى لا نعلمها: "فاطمة بنت الرسول -صلى الله عليه وسلم- حين دخلت عليه في سكرات الموت، ضحكت وبكت، وبسؤالها قالت: إنه أخبرها بأنه مرض الموت فبكت، وضحكت حين أخبرها بأنها أقرب

أهل بيته لحوقًا به. أخذ العلماء من هذا، أنه بمجرد الموت يكون اللقاء للأموات، وإلا لو كان اللقاء بعد البعث فكان لا يهم أن تلحق به من عدمه، يبقى إذن لما يحصل عندنا ميت هما هناك يستقبلوه ويعملوا زفه، ويقولك جايلنا فلان النهارده، ولكن في دائرة أخرى لا يعلمها إلا الله».

خالد : أيوه بس.. انت هتبني كلامك كله على حديث غريب  
يقول: إن الله أطلع آدم -عليه السلام- على أرواح ذريته؟!

حسن : أنا استغربت زيك لما سمعته، رححت المكتبة، قريت في علم الحديث إن أنواعه: صحيح وحسن وضعيف.... وبالقراءة عن هذا الحديث، فوجئت إنه صحيح، وإنه مروى لرواة عدة، وبطرق عدة للراوي الواحد، وترجع الروايات إلى أبي هريرة، وعمر، وأبي الدرداء، وابن عباس رضي الله عنهم.

استننه أنا مسجلهم على التليفون شوف:

١- رواه النسائي في الكبرى ١٠٠٤٦ / ١٠٠٤٨

٢- رواه أحمد ٦ / ٤٤١ (١/ ٢٧٢).. (١/ ٢٥١ - ٢٩٨ - ٣٧١)

٣- رواه الترمذي ٣٣٦٨ | ٣٠٧٦

٤- رواه البيهقي ٢٠٣٠٧ | ١٠٠٤٧ | ٢٠٣٠٥

٥- رواه أبو داود ٤٧٠٣ | ٤٧٠٤

٦- رواه ابن حبان ٦١٦٧ | ٦١٦٤ | ٣٣٨

٧- رواه الطيالسي ٢٦٩٢

٨- رواه الطبراني في مسند الشاميين ٢٠٤٤، وفي الكبير ٢٢ / ١٦٨، وفي

الكبير ٢٢ / ١٦٩ وفي الكبير ١٢٩٢٨

٩- رواه الحاكم (١٣٢/١ - ٢٩٢/٤) . (٢ / ٣٥٤ - ٦٤٠) . (١ / ٨٥) .

(٨٠/١ - ٥٩٣/٢)

١٠- رواه أبو يعلى ٦٥٨٠ | ٦٣٧٧ | ٢٧١٠

ناجي : ده انت مذاكر بقى ؟

حسن : مش قصة مذاكر .. بس تعداد الروايات والطرق يؤكد إنه صحيح وبعدين هذا الكلام ممكن يكون صحيح لأمرين :

أولاً - بلاش تحسب إن الأرواح خلقت قديماً مع آدم -عليه السلام- فلنبداً من عند الدنيا، سلطان العلم أثبت أنها بدأت من قبل الدنيا في الحياة الجينية، وقبل ذلك أيضاً في المنوية، وهكذا إن اتبعنا الأمر حتى نصطدم ببداية؛ لأن الإنسان ليس أزلي وإنما له بداية ولا أفضل من أن نعتبر أن البداية مع خلق آدم -عليه السلام- وإن لم تكن بداية حقيقية، فهي اعتبارية حتى نحدد النقطة صفر .

ثانياً - لو أن الأمانة عُرضت على آدم وحده، لكان هو المحاسب وحده عن البشرية، ولكن كلنا محاسبون، وهذا يعني أن المحاسب قد قبل الأمانة؛ لأن الله هو العدل، العليم، ولكي لا يكون للناس حجة يوم الحساب بأنهم لم يقبلوا الأمانة؛ وبالتالي فإن الأرواح جميعها كانت حاضرة لحظة العرض، منهم من قبل وظلم نفسه، ومنهم من رفض، وكان ذا علم عنا، وأظن أن هذا التذليل يعتبر في حد ذاته توثيقاً .

ناجي : انته هتفتي وتشغل دماغك؟

حسن : ألم يصل نبي الله إبراهيم -عليه السلام- إلى عبادة الله بالعقل؟  
خالد : وائته فاهم هي إيه الأمانه؟

حسن : احتار العلماء في تفسير الأمانة، فقد تكون الاستخلاف في الأرض للعبادة والإعمار، أو ربما هي عبادة الله طواعية، أو الإرادة الحرة وحرية الاختيار، عمومًا ما يهمننا الآن هو لحظة العرض، وليس مفهوم الأمانة .

ناجي : بس ده تصور، ولم يشهد الله أحدًا منا خلق السموات والأرض، وما كان متخذ المضلين عضدًا.

حسن : أنا لم أتصور، ولم آت بشيء من عندي، ولم أقل إني شهدت الخلق، ولا أنا من المضلين، ولكن بين أيدينا إعجاز اسمه القرآن، أنعم الله به علينا، وقال لنا تدبروا، ومن حظنا أنه عربي، لنفهمه ونفيد الناس بالإعجاز المتجدد، لا أن نغلق عقولنا، ثم إن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أفاض علينا ببعض الأحاديث التي تهدينا للفهم وتفسر لنا، وأيضًا منحنا الله عقلًا لنستعمله لا لنعطله.

خالد : والله تعالى أيضًا قال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ).

حسن : لا أسأل عن ذات الله، ولا عن الروح، وإنما أنا أتدبر في إعجازه في خلقه، هذا التدبر يزيدني إيمانًا بالله، وخلقه، وقدرته في الأمور.

ناجي : ونعم بالله يا سيدي بس ده علم لا ينفع.

حسن : ومين قال؟! على الأقل إثبات وجود عوالم أخرى قد يفسر لنا الكثير من الظواهر، أو حتى يرد على أبو لهب حين أنكر وجود الله، وأنكر البعث، وأنه لا حياة إلا الحياة الدنيا، قد يفيد هذا بأن هناك حيوات سابقة، وهناك حيوات لاحقة، وأن هناك بعثًا، وأن القرآن معجزة وأنه ما هو بكلام بشر .

ناجي : بس انت مش عالم دين ولا لغه عشان تفسر على مزاجك .

حسن : القرآن معجزة لكل الأزمان، وكل الفئات، ففي كل زمان يفهمه الناس على قدر علمهم، وأيضاً كل الفئات تقرؤه وتفهمه وتستفيد منه، فالعامل يستفيد بشكل، والطبيب يفهم بشكل آخر، وكذا المهندس، يفهم بشكل ثالث، ولربما أخرج منه قوانين عملية، أما علماء الدين واللغة فهم يفسرون من زاويتهم لنفهم ويتكامل العلم مع اللغة، كل منهم يعضد الآخر لإدراك تلك المعجزة؛ فنزداد جميعاً إيماناً، فلا يُعرف الدين إلا بالعلم، وما كان الدين إلا مرشداً لطريق العلم، فالجهل هو الموت الحي، والعلم هو إحياء الحياة.  
خالد : ونعم بالله يا عم حسن .

ناجي : طب الرسول -صلى الله عليه وسلم- ما قالش الكلام ده زمان  
ليه؟

حسن : يعني أبو لهب كان يعرف إن الحيوان المنوي كائن حي، ولّا كان يعرف الرحم؟! يا راجل ده تشريح المهبل كان بالنسبة له من الغيبات، هو قال على قدر فهمهم، فالقرآن معجزة متجددة عبر الأزمان، وبعدين الناس مكنش مشكلتهم التصديق .

ناجي : أومال إيه؟

حسن : مشكلتكم كانت إزاي ممكن يبعثوا بعد الموت، أو حتى إن في حياة تانية بعد الموت، هم كانوا يؤمنون بالماديات .

شعر حسن بإحباط وبضيق نفس؛ فأنصرف، فما كان يتوقع هذا الرد والهجوم من الرفاق، ولا حتى كان يتصور أنهم هم من يصدونه بهذه الطريقة، ضاق صدره من هجومهم عليه، وكأنهم يرمونه بالسفه فأنصرف، بقي ناجي، وخالد في حالة ذهول بعض الوقت، كأنهما رأيا صديقًا غير الذي كانا يعرفانه؛ فهو الآن أي شيء، إلا حسن القديم، أو حتى حسن صاحب نور، بعد فترة امتعض ناجي.

ناجي : إيه يا عم خالد إنته هتهاوده في الكلام ده؟

خالد : وإيه المشكلة؟

ناجي : الواد هيضيع، دخل متاهه، آخرتها جنان.

خالد : خليه يتجنن علينا، أحسن ما الناس تسمع بينا، إحنا أولى بيه .

ناجي : ربنا يستر.

توجه خالد إلى قسم الباطنة؛ حيث إنجي، هذا الإنسان الذي بات ضرورة ملحة الآن، تقبع مكانها تنتظر أن يمنحها القدر حسن، ولا تتحرك نحوه، تحبه وتتركه ليأتيها طواعية، ولكن هو الآن ذهب وقد ينسى نفسه أصلاً، لا الزواج، تهملت إنجي لرؤية خالد، وكأن أي شيء من طرف حسن يجعلها تفرح.

خالد : أهلاً يا عانس .

إنجي : أنا ما أقبلش تقولي كده .

خالد : بس هو ده الواقع .

إنجي : أنا خطابي كتير .

خالد : ومستنيه أختك الكبيرة لما تتجوز؟

إنجي : ما أنت عارف إني وحيدة .

خالد : وأما خطابك كتير ما بتتجوزيش ليه؟

إنجي : حظي !

خالد : لا قولي قلة حيله ... خيابه أي حاجه غير الحظ .

إنجي : ما أنت عارف وكل حاجه على إيدك .

خالد : أيوه بس إنتي قاعده مكانك .

إنجي : إزاي ده أنا زهقت من كتر ما طارده .

خالد : وانتي بتسمي اللي بتعمليه ده محاولات؟ دي أساليب ماتجذبش فار، انتي بتجذبيه بالشوكة والسكينة، بتراتف صوابك، حسن عاوز واحده تهزه عشان يلتفت ليه .

رضخت إنجي لتهمة الفشل التي يرميها بها خالد في استقطاب حسن، وأسهب خالد في إعداد الخطط وشرح الحيل التي يمكن تنفيذها، كانت هذه الخطط تحتاج منها أن تتخلى قليلاً عن رومانسية أفلاطون التي لطالما قرأت عنها، فهي تطبق الحب النظري الذي في الكتب ولا تنزل إلى أرض التطبيق العملي، ولا تعلم أن كل

قصة حب فريدة من نوعها، فالحب واحد، ولكن أشكاله عديدة ...  
فيه انجذاب الأرواح، ولكل روح ما يجذبها .

كان ييوس عقل إنجي عائقًا كبيرًا، فعليها أن تتحلى بالليونة  
الأنثوية أولاً.... فالرجل يهوى في النساء صفات رجولية، ولكن بعد  
اكتمال الصبغة الأنثوية عندها، فيعشق الرجل أنثى فائقة النعومة  
والليونة يكتمل جمالها بقدر من الشهامة و"الجدعنة" في لوحة فريدة  
صعبة المقاومة.... وأيضاً النساء، يحبهن في الرجال الحنان والرقّة،  
وهي صفات أنثوية في الأصل، ولكن تكون تاجاً على رأس رجولة  
مكتملة، وفي نفس التوقيت، كان ناجي يحاور دينا عن حسن الذي  
عاد.

ناجي : شوفتي حسن؟

دينا : لأ، هو رجوع؟

ناجي : آه وشكله مهزوز شويه، عايزين نخرجه من الهم بقى .

دينا : ربنا يكون في عونته .

ناجي : ونعم بالله يا ستي .

دينا : عامل إيه؟

ناجي : ماعدش حسن بتاع زمان .

دينا : طول عمره محترم .

ناجي : مين اللي بيتكلم؟ عيب يا دينا، ده انا عارف البير وغطاه،

انتي هتعملي شريفه؟

دينا : عيب يا دكتور ناجي .

ناجي : عيب مين يا أموره؟ أنا عايزك ترجعي أيامنا الحلوة، ولا في

زبون جديد؟

دينا : ولا جديد ولا قديم .

ناجي : لأ فيه قديم، وفي زباين كان .

دينا : خلاص شطبنا .

ناجي : بس ده حسن .. هتسيبيه؟

التقى خالد وناجي في الكافيتريا مع فنجان قهوة سادة، وكأن كلاً منهما كان مبعوثاً في مهمة لم يتفقا عليها، ولكن ثمة ميثاق ضمني في الخوف على حسن، ومحاوله استعادته من تلك الرحلة التي ذهب فيها ليستعيد ضالته الراحلة عن عالمنا، فالحب يدفع المرء إلى خوض طرق لم يكن يتوقع يوماً أن يسير فيها .

ناجي : تخيل دينا بتقولي شطبنا!

خالد : شطبنا مين الأمور؟ بس أحسن، اللي زي دينا ما يملاش

عين حسن بعد نور .

ناجي : وإنجي أخبارها إيه؟

خالد : ناشفه زي ماهي، لسه عايشه في رواية من بتوع الحب .

ناجي : ربنا يتوب عليها .

خالد : هوه الواد حسن ده كل اللي يعرفهم مش طبيعيين زي البشر ليه؟ واحده فتحاها على البحري والثانية مقفله كل الجدران .

ناجي : ولا الأستاذ أرسطو .

خالد : الله يرحمها ويحسن إليها يا عم .

رحل حسن عن المستشفى إلى عالمه الافتراضي الذي يريد فيه الزواج من راحلة يحدث نفسه: "إن كنت أريد الزواج منها الآن، فهل يصلح أن يتزوج دنيوي من جنين؟! قطعاً لا. هل يتواصل معه؟ أصبح ممكناً للدنيوي أن يتواصل مع جنين! ماهو الزواج إذن؟! هو تواصل من أجل السعادة، فعلاً إن ما أبحث عنه هو السعادة المفقودة معها .... » كانت موجودة وكنت متضايق مش سعيد .... الواحد ما بيحسش بقيمة الحاجة إلا لما تروح منه، أيوه كانت مليا عليا حياتي ... بس أنا لا يهمني التواصل الجسدي، بل لا أستطيع، هل هناك أنواع أخرى من التواصل أصلاً؟ التواصل بين البشر إما فردي أو جماعي، إما بشكل جسدي أو اجتماعي، فكري أو روحي، أيوه جلال قال تواصل مع روحها هي الطريقة الوحيدة للتواصل الآن، ما دمنا في عالمين“.

أسئلة كثيرة تبادر بحجز دورها في التحليق في سماء عقله، أيضاً انشغل حسن في التدبر، وتلك الآيات التي لاحظها في كون الله، وأن تلك الآيات في أنفسنا، ولكن لا نبصرها، فقد لاحظ أن الدار الدنيا هي أول دار تلمس فيها الروح الأرض، وأن ذلك هو أول هبوط لها على الأرض، فقد مرت الروح برحلة طويلة منذ الخلق حتى وصلت إلى الدار الدنيا، مرت بعوالم كثيرة، دور كثيرة، ولكن الحمد لله على أنه رب كل هذه العالمين دارًا دارًا، عالمًا عالمًا، الله وحده

هو المسيطر عليهم، في اليوم التالي احتفظ بملاحظاته لنفسه.

خالد : بس انتھ اتعصرت فكرياً عشان توصل للأفكار اللي إنت  
حكيتها إمبراح.

حسن : أنا معرفش أنا وصلتلها إزاي بس هو توفيق من ربنا.

خالد : والحزن كان دفعك؟

حسن : التدبر منحة إلهية، ويمكن تخصصي ساعدني شويه في إني  
ألاحظ إن الولادة والموت وجهان لعملة واحدة .

خالد : إزاي؟

حسن : ما دام أن هناك تقسيمات، أي أن هناك عوالم، وما دامت  
لهم نفس المواصفات، فمن الممكن أن تكون الأجنة بيزوروا بعض،  
أو لعله هناك حسن يتحدث إلى خالد الآن.

خالد : وارد.

حسن : فالروح تبعث في الدنيا فيما يسمى ولادة حين تموت في الحياة  
الجنينية، الحدثين بيحصلوا في نفس الوقت، هناك اسمه موت، وفي  
الدنيا اسمه ولاده .

انتبه خالد : ممكن.

حسن : فنحن نهلل هنا في استقبال مولود، وقد يكون هناك في  
عالم الأجنة أهل له مودعين، حزاني، كما نودع نحن هنا في حزن  
ما نسويه ميت، وقد يكون في البرزخ له أهل مستقبليته بالفرح

والسرور ويسموه مولود .

خالد : نظره فلسفية عميقة ... بس عايز تقول إيه يعني؟

حسن : إنه انتقال وليس موت، هو فقط مرور نحو دار الخلد التي لا موت فيها، وكأن الإنسان لم يكن كفوًا لعبادة الله، وتلك دورة يمر فيها بعوالم معينة، يكتسب فيها ما يجعله يليق بعبادة الله، يبدأ الرحلة منذ الخلق، ويسير في الطريق عالمًا عالمًا، حتى يهبط على الأرض لأول مرة في الدنيا إلى أن ينتهي به الأمر في الآخرة.

خالد : قصدك إن الدنيا أول هبوط للروح على الأرض؟

حسن : شكلك إبتديت تصدقني .

خالد : وانا هكذبك ليه يا ابو علي؟

حسن : الكلام غير منطقي .

خالد : لأ جديد بس .... وأي شيء جديد بيبقى غريب في الأول .

حسن : يعني مصدقني؟

خالد : هي افتراضات ممكن تطلع صح في النهاية .

لا يختلف أحد على أن لسلطان العلم دورًا في فهم وإدراك الإعجاز في القرآن، تلك المفاجآت المتكررة التي لا تنتهي عبر الأزمان، فقد أسقط حسن بتلك التقسيمة تهمة الموت عن نور، بل هي ليست متهمة، هو فقط طمأن نفسه بأنها لم تمت، بل هي انتقلت، رحلت عن عالمنا لآخر.

طمأن نفسه بأن هناك أملًا في التواصل معها، فبعد أن حدد جزءًا من معالم الطريق، وبات له هدف، تجاوز هذا الطريق للوصول إليها، بدأ يستقر نسبيًا في عمله، ولكن شكري هذه المرة لم يرسله إلى العمليات مرارًا وتكرارًا، كان لصمت حسن وضمور وجهه بالغ التأثير في جلب التعاطف، خاصة أن قصتهما كانت ذائعة الصيت في المستشفى.

حاول رفيقه مرارًا أن يخرجاه من حالته الجديدة، ولكن لا جدوى، لأنه سقط في بئر عميقة، وكل ما يلقيانه إليه من حبال للمساعدة بالية، تنقطع، فلم يعد يهوى المقهى، ولا تشغله النساء وعطورها، رغبًا عنهما، وحبًا فيه، لم يعد أمامهما إلا مجاراته، وإن كانا غير مقتنعين، فهو في نظرهما الآن على درجة من درجات الجنون، يتربصان به أي حجة يسوقها إليهما تصلح لأن تكون ثغرة؛ فيقطعها عليه الطريق، في النهاية، انصاعا إليه فلا تطيب الأيام بدونه.

كانت شقته مكانًا بديلًا للمقهى، تلك الجلسة الخالية من الشيشة "القص" وحوارات الفاتنات كانت ثقيلة على قلب ناجي، ولكنه مجبر، فصديقه في محنة، خالد لا يهوى الفلسفة والحوارات الخيالية،

تلك الأطروحات ثقيلة على قلبه، بل تصيب عقله بالشلل أحياناً، لكن الوفاء للصديق مكبل له، ناجي يختار مكاناً يتوسط البلونة والتليفزيون، لا يركن كثيراً للحوار، ولا يتدخل فيه إلا نادراً، لا تبقى الأفكار في عقله كثيراً، فلا تلبث أن تخرج مع دخان سيجارته، متجرّداً من المسؤولية، ولا يلقي بالألحاديثما إلا بالصدفة؛ فهو يرى أن المخدرات أولى بعقله من هذه الأمور التي لن تقدم كثيراً، أما خالد، فقد حاول بسبل عدة استعادة صديقه الذي يحبه، ولكن هو أحسن منه حالاً، فخبّيه ما زال معه في نفس العالم، أفضل طريقة أتت بنتائج هي التجاوب معه، وعدم تركه وحيداً، فعزلته باتت عدواً له.

خالد : وطي التليفزيون شويه يا ناجي مش سامع.

ناجي : حاضر يا سيدي.

خالد : كمل يا حسن، الانتقال من دار لدار هي عملية بداية ونهاية، ولادة وموت في نفس الوقت.

حسن : آه، طيب عملية الانتقال والمرور دي مش لازم تكون من خلال ممر؟

خالد : لازم، وإيه الممر ده؟

حسن : الإنسان بيمر من المنوية للجينية عبر قناة مجرى البول وقناة فالوب.

خالد : ماشي.

حسن : ومن الجنينية للدنيا عبر المهبل .

خالد : وماله .

حسن : وممكن يكون القبر هو الممر من الدنيا للبرزخ؟

خالد : وارد .

حسن : مش مقتنع؟ طب مش ملاحظ إن قناة فالوب ومجرى

البول والمهبل شكلهم وطولهم واحد تقريباً مع زيادة في العرض

تناسب مع زيادة حجم الجسد؟!

خالد : مجرى البول عند الراجل؟

حسن : أيوه، وقناة فالوب اللي بتمر فيها البويضة من المبيض

للرحم، ماهو الإنسان قبل الجنين عبارة عن حيوان منوي وبويضة .

خالد : ومعنى كدا إيه؟

حسن : إن في أوجه شبه كتير بين الأطوار .

خالد : وأوجه اختلاف .

استطردوا في تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين الأطوار الستة،

فنحن لا نرى الروح، وإنما نرى سلوكها على الجسد الذي يحملها،

نرى الآن بسلطان العلم أجساد ثلاث دور، ألا وهي المنوية والجنينية

والدنيا، ولا نرى أجساد الخلقية ولا البرزخية ولا الأخروية، ولكن من

خلال إيجاد ثابت، تشابه في الأجساد التي نعلمها قد يساعد ذلك في

تصور ماهو غير معلوم، أو حتى التقريب منه إن لم نستطع رؤيته،

حسن يحتفظ لنفسه بالبحث عن حبيته، خالد أيضاً يحتفظ بحبه

لصديقه، ولأجل هذا الحب، يدور هذا الحوار، حسن يستجدي عقلهما ليكون له عونًا، وخالد يريده في الدنيا سنَدًا.

لعملية المرور أرض وممر، وأيضًا لها آلام متشابهة، آلام التبويض كنهاية للبويضة، وآلام الولادة كنهاية للحياة الجنينية، سكرات الموت في نهاية الحياة الدنيا، كل نهاية لها آلام، ولكن الأم أيضًا في زيادة، فليس ألم التبويض كآلم الولادة، الانتقال والمرور عملية حقيقية، لها قوانين، وفيها ممر، وأرض، وآلام مرور، كلام بات حسن مقتنعًا به، آثار حفيظة خالد وفضول ناجي.

ناجي : هو كلام شبه الصح بس هيفيد في إيه؟

حسن : نفهم الأول وبعدين نعرف هيفيد بإيه.

خالد : قوم اعمل شاي يا ناجي.

ناجي : اهدى شويه يا خالد.

حسن : مش الأرض، ولا الجسد، ولا الممر، ولا الألم بس هما اللي في زيادة.

خالد : أو مال إيه؟

حسن : الحواس كان في زيادة، لو لاحظت إنك بتشوف أكثر من الجنين، وكذا الجنين أكثر من المنوي، وكذلك البرزخين بيشفوا أكثر منك.

خالد : آه تفسير: (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ).

حسن : شوفت لو كان مات كان فقد بصره؟

ناجي : عايز تثبت إن الناس هناك عايشين؟ ما إحنا عارفين!

خالد : مش مهم عملية المرور، المهم إيه الغطاء اللي لما اترفع البصر بقى أحد؟

ناجي : آه صحيح إيه اللي بيعوق رؤيتنا ومخلي نظرتنا ضيقه عنهم؟

خالد: أطلع أقعد في البلكونه مع السيجاره شويه يا ناجي .

حسن:السؤال هل الغطاء مكاني أم زماني أم أنه حاجز قدرة وطاقة.

هل هو موجود ولا لأ؟ هل يمكن رؤيته ولا لأ؟ لا .

قبل لهم بإجابة تلك الأسئلة، فإن كان الأمر كبير، فهم لا يرون الشاطئ الآخر، ولا يستطيعون تصوره، ولكن حسن اقترح أن يجعلوا أنفسهم أجنة للبرزخيين، وإجراء المقارنة بين الأجنة والديويين، وذلك لرؤية أجساد الاثنين، فحسد البرزخي غير مرئي، كانت بداية الإجابات بأنه لا بد أن يوجد حاجز مكاني، فالحاجز بين الأجنة والديويين هو بطن الأم، بداية من الجلد والدهن تحته، وعضلات البطن، والشيث والبريتون والرحم، وكيس الماء الذي يحيط الجنين، كل هذه طبقات وحواجز مكانية ملموسة مادياً .

هذا الحاجز زاه نحن الديويين ولا يراه الأجنة، نحن نرى الطبقات كاملة، بينما الجنين لا يرى إلا الماء المحيط به، وكذا الديوي، لا يشعر إلا بالهواء المحيط به، يشعر الجنين أن الحاجز بيننا سميك، بينما نعلم نحن أنه رفيع جداً، وكذا قد يكون هناك حاجز مكاني بيننا وبين البرزخيين، يراه البرزخيون ولا نستطيع رؤيته نحن الديويين،

فالشاطئ الآخر للجنين مجهول، وكذا شاطئ البرزخ مجهول لنا نحن  
الدينويين، وإن كنا نقر بوجوده فنحن لا نراه .

الحواجز موجودة، ولكن هناك سكة طبيعية بدون حواجز،  
ألا وهي المهبل، هو الممر الطبيعي بين الأجنة والدينويين، وكذا  
قد يكون القبر هو الممر الطبيعي إلى البرزخ في حالة موت الدنيا،  
ولكن تلك السكة الطبيعية أيضًا لها حواجز، مثل أن الرحم مائل  
على المهبل أثناء الحمل والحياة الجنينية، وكلما تقدم عمر الجنين  
وزاد حجمه استقام الرحم على المهبل؛ وبالتالي تتسع السكة تدريجيًا  
إلى أن تفتح وتم الولادة الدنيوية والموت الجنيني، الحاجز موجود  
ولا شك حتى المنويين يفصلهم عن الدينويين غشاء رفيع يحتوي  
خصيتي الرجل، حاجز مكاني موجود ولا ريب.

ولكن هناك حاجز آخر، هو حاجز قدرة وطاقة لكل دار وطور،  
فليس للمنوي قدرة الجنين، ولا للجنين قدرة الدنيوي وإمكانياته؛  
وبالتالي فليس للدنيوي قدرة وطاقة البرزخي، الحاجز أيضًا حجمه في  
زيادة، الإمكانيات والقدرة في زيادة أيضًا ككل السوابق والملاحظات،  
حاجز مكاني، حاجز طاقة وقدرة، الفرق بين الأطوار هو سكة  
وقدرة، سكة طبيعية أو غير طبيعية .

حسن : يعني نقدر نعتبر المقتولين عندنا مولودين قيصري للبرزخيين .

خالد : وسعت منك دي يا حسن .

حسن : تصور إنه ممكن نسبة المقتولين تبقى زي نسبة الولادات  
القيصرية .

ناجي : وماله.. ملحوظة كويسه برضو.

حسن : مشكلة سكة وقدرة وطاقة، وكان ممكن يكون في حاجز زمني.

خالد : إزاي؟!

حسن : يعني المنويين والأجنة والديويين والبرزخيين موجودين كلهم دلوقتي في نفس النقطة من الزمن .

خالد : تمام.

حسن : بس كل واحد في داره، في دايرته له قوانينه وقدرته.

خالد : أكيد.

حسن : يعني الوقت هو هو وفي نفس الدقيقة كلنا موجودين.

خالد : بس قوانين الزمن مختلفة في كل دار.

حسن : يعني الاختلاف في الزمن مش في الوقت.

خالد : فعلاً الزمن هو المختلف.

حسن : طب ماتيجي نحسب اليوم عندنا يطلع كام يوم عند الأجنة.

خالد : وماله، إزاي؟

حسن: لو افترضنا إن الحياة الجنينية عمر والحياة الدنيوية عمر..

ومتوسط عمر الدنيا ٦٠ سنة، ومتوسط عمر الجنين ٢٨٠ يوم دنيوي.

أي أن عمر الدنيا = ٦٠ سنة × ٣٦٥ يوم = ٢١٩٠٠ يوم دنيوي.

يعني  $21900 \div 280 = 78$  يوم.

أي أن اليوم الدنيوي يعادل ثمانين يوم جنيني تقريبًا.

خالد : كلام كويس ... وبعدين؟

حسن : إنت نسيت في يوم مقداره ألف سنة، ويوم مقداره خمسين ألف سنة؟

خالد : آه يوم العرض، اليوم بخمسين ألف سنة.

حسن : يعني تقدير الوقت كان في زيادة، يعني يوم البرزخ يساوي ألف سنة دنيوية.

ناجي : دي إشارات يا جدعان.

حسن : أيوه يا ناجي بس احنا اللي مش فاهمين.

خالد : طيب الوقت ثابت والاختلاف في العدد.

حسن : لا يا برنس .... الاختلاف في الأحداث في تقييم الحدث في كل دار.

خالد : والوقت إيه والحدث إيه؟ ما هم واحد.

حسن : لأ في اختلاف بين الوقت والحدث.

خالد : إزاي؟

حسن : ما انت ساعات تلاقي سنة مليانة أحداث أكبر من عشر سنين فاضيين من الأحداث على الرغم من إن العشر سنين أكبر من السنة وقتيًا.

ناجي : فعلاً السنة دي عشنا أحداث أكثر من سنين كتير فانت.

حسن : طب ما تيجي نعمل معادلات للأيام.

خالد : إزاي؟

حسن : ١- يوم الآخرة = ٥٠٠٠٠ سنة  $\times$  ٣٦٥ يوم = ١٨٢٥٠٠٠٠ يوم دنيوي .

٢- يوم الآخرة = ٥٠٠٠٠ سنة  $\div$  ١٠٠٠ سنة = ٥٠ يوم برزخي .

٣- يوم البرزخ = ١٠٠٠ سنة  $\times$  ٣٦٥ يوم = ٣٦٥٠٠٠ يوم دنيوي .

٤- يوم الدنيا = ٧٨ يوم جنيني .

٥- اليوم البرزخي = ٨٠  $\times$  ٣٦٥٠٠٠ = ٢٩٢٠٠٠٠٠ يوم جنيني .

٦- يوم الآخرة = ٨٠  $\times$  ١٨٢٥٠٠٠٠ = ١٤٦٠٠٠٠٠٠٠ يوم جنيني .

ناجي : يا لهوي .. يوم الآخرة بمليار وربعمائة وستين مليون يوم

جنيني .. سبحان الله!

خالد : ده مكلش ثانية .. الموضوع كده كبير .. أنا مروح .

ناجي : وده ليه علاقه بقوانين أينشتاين والرياضة والفيزيا؟!

خالد : وكان ممكن يبقى له علاقه بقوانين الفضاء .

حسن : هو انتو مش مروحين؟

كان الإرهاق سيد الموقف، شعر حسن بنبرة سخرية وتهكم، وتنامى

هذا الشعور لديه حين قال له ناجي وهو يودعهما: «عارف يا حسن

الأفكار بتاعتك دي تنفع في إيه؟»

حسن : في إيه؟

ناجي : تعمل منها شخصيات كرتون .

حسن : الله يسامحك .

ناجي : لا أنا بتكلم بجد، سبيرم مان، وفيتال بوى، ويتقابلوا مع  
الديوي في الفضاء، طب والله هيبقى فيام يكسر الدنيا، تحب  
أعملك انيميشن ليه؟  
حسن : يا آلا يا ناجي رّوح.

كان لحديث ناجي بالغ التأثير على نفسية حسن، قضى ليلة حزينة، على الرغم من أنه كان لديه فرحة مبدئية بروعة الإشارات التي توصلت إليها المناقشات، ودور ذلك في اختصار خطوات كبيرة في رحلته، كان الجميع حضورًا في اليوم التالي، تناولوا الإفطار كالعادة معًا، رحل حسن بعد الإفطار مباشرة لحضور درس للشيخ درويش، كانت تلك الدروس هي المخزن الذي يستاق منه حسن المعرفة الدينية التي تهدي علمه للفهم، للملاحظة، للإدراك، الدين والعلم رفيقان لا يفترقان، يسوق كل منهم الآخر، فالإشارات الدينية تزداد روعة بزيادة علم الإنسان، ويرداد الإنسان إيمانًا و يقينًا كلما ازداد علمًا .

يسأله عن نقاط محددة، ينهل منها الإجابات وما يستطيع به مواصلة البحث عن المنتقلة والمفقودة، تلك التي بدلت حاله حية وميتة، هي من زجت به في طرق غير التي كان يسير فيها، كان خالد أيضًا قد رحل بعد حسن؛ وذلك لانشغاله هذه الفترة بالإعداد لفرحه، أمور ليست بالكبيرة، ولكنها كثيرة ترهق العقل، لا بد له من ورقة وقلم كي يدون ما يريد حتى لا ينسى، هذا ما أشار به حسن عليه، فهو يدرك ويعلم عواقب الفترات التي تسبق الفرح، لم يكن شكري في الفترة الأخيرة يضايق حسن أو ينقب خلفه، ولكنه اليوم حين علم برحيله كتب مذكرة فيه، وتوجه بها للسيد المدير، فوجده مشغولًا باجتماع مع إنجي .

د/ عوض : خير يا شكري؟

شكري: حسن مزوغ يافندم.

د/ عوض : استأذن مني يا شكري.

شكري : ده أنا كنت كاتب مذكرة.

د/ عوض : حسن ولد محترم ومايستاهلش منك كده يا شكري.

شكري : تمام ..... تعلياتك يا فندم.

د/ عوض: مش تعليات..... دي حقيقه هو عشان شاطر؟

ماتحطوش في دماغك عيب.

شكري : أنا هغير منه ليه يا فندم؟

د/ عوض: بدل ما تقف جنبه، جاي تقدم فيه مذكرة؟ عيب يا

شكري. اتفضل.

شكري : حاضر يا فندم.

د/ عوض: وانتى كان يا إنجي روجي شوفي شغلك.

التقى حسن في درس الشيخ درويش بأحد الناس الذي اعتاد لقاءهم

في الدرس، ولكن لا يعرف من هو، أو ما اسمه، ولكنه يعرف شكله

فهو مألوف لديه.

”أهلاً فينك يا دكتور؟“.

”يا دكتور حسن أنا ماجد معد برامج“.

”حضرتك ممكن تكون متعرفنيش بس أنا متابعتك“.

حسن بانزعاج : خير.. أنا ضايقتك في حاجه؟

ماجد : لأ، ده أنا معجب جدًا بأسئلتك للشيخ، ويتسلسل أفكارك بتطلع منه كلام جديد.

حسن : شكرًا على المجاملة.

ماجد : أنا دورت عليك كتير.

حسن : خير.

ماجد : أنا كلمت الناس في القناة عنك.

حسن : ليه؟

ماجد : عشان أعرضك عليهم، ونعمل معاك برنامج، أو حتى لقاء.

حسن : مين؟ أنا؟ لا أنا مستاهلش لا لقاء ولا برنامج.

ماجد : إنت خامه كويسه، وممكن يبقالك جمهور كبير .

حسن : شكرًا لاهتمامك يا أستاذ ماجد.

أيام متتالية من الفهم للشيخ درويش ودروسه، غاب ناجي عن الإفطار هذا اليوم، وبسؤال حسن عليه، رد إسماعيل ساعي البوفيه الذي يهوى التصنت على حواراتهم وما فيها من مادة شيقة عن أسرار عالم النساء، كان دومًا يقول: "أنا مش باجي المستشفى عشان أكل عيش بس، أنا بحب أشوف العيال دي" وهو يصب القهوة مبتسمًا: «تلاقيه مع الغندورة الجديدة».

حسن : هوه أنا فايطني كتير للدرجة دي؟

خالد : ظروفك ماكنتش تسمح نحكي.

خرج سماعيل وهو يضحك، بدأ خالد يحكي لحسن ظروف

تعرف ناجي العناني على تلك الموظفة التي تعمل في البنك المجاور للمستشفى، مایسة فتاة متوسطة الطول، لیست بالنعیفة، جمیلة، ذات شخصیة جذابة وجمال براق، تزوجت مرتان، عدم إنجابها كان سبب فشل الزیجتین، ولكنه نفس السبب الذي جذب ناجي لها، فهو یكره فكرة الإنجاب؛ حیث یشفق على كل طفل یراه، ویتعاطف معه ضد تلك الاختبارات والآلام الصعبة التي تنتظره فی الحیاة «لسه هیجیب الدنیا من الأول.. كم هی مؤلمة تلك الحیاة الدنیا!..» ارتبط بمایسة منذ شهرین، وأفاد خالد بأنها لیست طلعة جدیدة وإنما سیستمر معها.

حسن : هو لسه زعلان؟

خالد : ما انت عارف، مش عايز یكرر غلطة أبوه.

إذ عاد ناجي یومًا من المدرسة، وهو ابن عشر سنین، فسمع عمه الأكبر فی منزلهم وصوته عالٍ: «ماهو لو مارضتی ش ترافقی نی هقوله إنی شفت واحد معاکي».

«بس أنا بحب جوزي».

«وأنا بحبك وانتي خساره فیه.. هیاخذ كل حاجه؟».

«نصیه ورزقه.. المال والشطاره وأنا».

«كلامی انتهى».

«عامل حبیه وعايز تكسره بیا؟»

”خلاص براحتك“.

وما أن انتهى اليوم حتى كان هو وأمه مطردوين من المنزل،  
وحين حاول ناجي أن يفهم أبيه ما حدث:

”تلاقيك انت نفسك ابن حرام“

بعد عدة شهور مع أخواله، لظمت أمه الصمت، وبشق الأنفس  
أجابته عن سؤال قبل أن تلقى ربهـا: ”ابن خالي، ابنه كان في  
المستشفى، واحتاج فلوس قولته روح لجوزي وهو مش هيرفض.“  
” عمك استغل الموقف، وساومني؛ لأنه كان حاول معايا كتير  
وأنا رفضت.“.

وبعدة عدة أعوام من إحساس ناجي بالظلم، فوجئ بأبيه يأتي إليه  
يسترضيه، ويريده أن يترك أخواله ويذهب معه.  
»بس أنا ابن حرام«.

”عمك حكالي على كل حاجه قبل ما يموت، وأنا فعلاً سلفت خالك  
فلوس يومها“.

رفض ناجي الاعتذار، كان لطول الإحساس بالظلم دور كبير في  
قسوة قلبه، تكررت زيارات أبيه، ولكن دون جدوى، فأرسل إليه  
عمه الأصغر لقربه من قلب ناجي.

”هو عايز إيه دلوقتي“؟

”عازي ابنه“

”دلوقتي بقيت ابنه“؟

”معلش غلطه“

”غلطه كلفتني أمي.“

”قدرها وعمرها.“

تكررت الزيارات والمحادثات والاعتذارات، ولكن كانت «أمي مظلومه، وأنا مش ابن حرام» هي الإجابة النهائية، مات أبوه وهو في عامه الأخير من الكلية، وحين رفض حضور جنازته انزعج حسن وخالد، فاضطر لحكاية القصة دفاعاً عن نفسه، فقد صارا هما أهله، وكل ما له في الدنيا، حضر خالد وحسن الجنازة، ورفض ناجي فعلاً الحضور بحجة أن له ثأراً عند أبيه في أمه، ويكفيه منه براً أنه لم يقتله، وقد أوصى أبوه بجزء من ماله لأخيه حتى يستأمنه على ولده، ولكن ناجي رفض نصيبه حين أتاه عمه.

”أيوه بس ده حقك“.

”هو كان اعترف بحقي وهو عايش“؟

”اعترف وندم كثير“.

”بعد إيه“؟

اتفقا على حل وسط، يرعى عمه ماله، ويأتيه بالمكسب، على أن تبقى بينهم شعرة الود لا تنقطع، فناجي هو من تبقى للعم من أهله بعد رحيل إخوته.

مرت الأيام، وما زال حسن غارقًا في أسئلته: لماذا لا أتزوجها؟ أو على الأقل أتواصل معها. لا أطيق فراقها. "كنت باتونس بيها، ماتت، بل انتقلت، مش هفقد الأمل، أكيد في حل، يعني إحنا كنا نعرف أن في تقسيات وأطوار؟ إن في عوالم أخرى في أنفسنا ولكن لا نبصرها؟ هي شايفاني، يعني ممكن أشوفها؟ هو الجنين بيشوفنا ولا لأ؟!

ولّا حتى إحنا كنا نقدر نشوفه قبل ما يبتدعوا السونار؟! عالم الأجنة كان من الغيبات، والآن أصبح معلومًا جزئيًا بالنسبة لأهل الدنيا" وهنا استلهم حسن فكرة، بأن السونار يلاحظ الأحداث من الخارج، لماذا لا نراقب الأحداث من الداخل؟! فكرة الشخصيات الكارتون التي قالها ناجي تبدو ثمينة الآن، لماذا لا نصور الحياة من الداخل؟ السونار وحده لا يكفي؟ "بس الميه اللي حوالين الجنين ستعوق التصوير، لا لا، في كاميرات بتصور في الميه، أيوه بس مين اللي هتسمح نركب لها كاميرا جوا الرحم بتاعها؟ ولا راجل مين اللي هيسمح بكده؟ نجرب في حيوان، قرده حامل ممكن تحل المشكلة، فكرة ممكن تكون كويسة، بس محتاجة دكتور بيطري يزرع الكاميرا، ودي كان مش مشكله. المشكلة إحنا عايزين نعرف إيه؟ عايزين نشوف حياتهم عن قرب، بيتكلموا ولا لأ؟ بيزوروا بعض ولا لأ؟ بينماوما ويصحوا إمتى؟ نراقبه زي ما بنراقب الحيوانات في الغابة، بس حتى لو ثبت إن في حركات غريبة، إحنا مش هنفهم حاجة، الحيوانات ليهم تصرفات غيرنا، يعني إحنا مش هنفهم تصرفات الأجنة البشرية، طب ممكن من خلال المراقبة نقدر نترجم ونعمل

لغة للتصرفات، ممكن نركب لولب بكاميرا، أصلاً مش هيبقى في جنين، طب يراقب البويضة، ويفيد بإيه؟ هو رحم حيوانة حامل أسلم حاجة مؤقتًا. لم يصل حسن لأكثر من هذا في هذا الحوار الجدلي مع نفسه.

عاد ثانية إلى إرهاقه الأزلي في الفترة الأخيرة، نور الحسيني التي باتت همه في حياته، بل هي ضالته التي يبحث عنها: "هي مرتاحه ولا متعذبه في حياتها الجديدة في باطن الأرض؟ أمها هناك الأرض، زي الرحم وهي الأرض السابقة للدينا، كانت أمًا في الدينا، مافيش أم بتقسي على عيالها، أيوه أمي في الدينا كانت حنينة". انتقلت وتركت له أسئلة كثيرة، تعلق بها فؤاده؛ فباتت لعنته، انسلخ عن البشر يبحث عن طيفها، هو لم يعد حيًا، ولكن على قيد الحياة، أو ليست العزلة له مؤقتًا؟ "عملية مرور مش موت، أرض، ممر، أكيد ما بينهم زاوية مرور".

سؤال، كان بابًا جديدًا لمزيد من العناء الفكري، فبعد أن اكتشف الأرض، والممر، وحجم الممر، وهو ما يكفي لمرور الإنسان، عليه الآن أن يتصور شكل الممر.

الإنسان ينتقل من كل طور إلى فراغ أوسع، فالمنوي يخرج من أرضه التي هي على مقاسه وقد عرفها إلى فراغ الرحم، وكذا الجنين ينتقل من الرحم الذي هو على مقاسه وقد تعرف عليه إلى فراغ الأرض الواسع، أصبح الفراغ البرزخي عبئًا فكريًا جديدًا، أيضًا لعملية المرور آلام مصاحبة، هي في الحقيقة ليست آلامًا، هي رحمة،

فالأم لا تقصد أن تقسو على وليدها، ولكن هي طبيعة المرور أن  
حجم الممر مفصل تقريبًا على حجم الجسد الذي يمر منه، كحجم  
المهبل بالنسبة للجنين، ولكن ماذا عن المرور البرزخي وممره؟!

زاوية المرور، هي العلاقة ما بين الأرض والممر لحظة المرور، لحظة النهاية في الطور السابق والولادة في الطور القادم، والفراغ هو ما يذهب إليه الجسد بعد المرور، وهو الطور القادم يسمى فراغاً بالنسبة له، هو الرحم بالنسبة للمنويين، وهو الأرض بالنسبة للأجنة، ومن ثم أكيد هناك فراغ برزخي، أكيد هناك دائرة أو أرض برزخية.

لبث حسن فترة في محاولة الوصول إلى أي معلومة تقرب إلى حل هذه الألغاز، حتى أن من ذهب إلى هناك وعاد كعزير، وأهل الكهف لم يحكوا شيئاً .

نحن لا نخرج من الأرض إلى فراغ، دائماً ننتقل بين ملك الله، فهو رب الكون، هو رب كل الأطوار، هو رب العالمين، وبدون آلام المرور لتوقف الجنس البشري، ولا وصل الإنسان إلى الغاية، آلام المرور في ظاهرها عذاب، وفي باطنها قمة الرحمة، بل والحياة، نعم بدونها لا حياة جديدة، لا مرور، لا انتقال، ولكن أين فراغ البرزخ؟!

قد يكون تسمية الدنيا تسمية مكانية، حيث إن العالم المنوي والعالم الجنيني غير ملامسين للأرض، بل هم أعلى منها، الدنيا قد تكون أول هبوط للروح على الأرض، وهذا قد يرشح أن البرزخ غير ملامس للأرض، بل هو أعلى منها، فاتجاه الزيادة دومًا في صالح البرزخ، ولا دار أدنى من الدنيا وهي على الأرض، وكأن الهبوط من الجنة إلى الدنيا مكانًا ومكانة.

بدأ حسن يرسم زوايا للحظات المرور في الحياة المنوية والحياة الجنينية، فتلك هي الأطوار المعلومة والمرئية، ولاحظ أيضًا أن هناك نوعين من المرور، فردي وجماعي، فردي من الجنينية للعالم، وجماعي من المنوية إلى الجنينية؛ وبالتالي قد يكون المرور من الدنيا للبرزخ فرديًا، ويوم البعث في الآخرة يصدر الناس جميعًا للحساب، لكن لا وثائق عن تلك الحيوانات القادمة، وإنما هي مجرد ملاحظات، أو إشارات دينية.

رسم حسن زاوية للنهاية المنوية، وسماها الزاوية (١)، وزاوية لعلاقة المبيض مع قناة فالوب (٢)، وزاوية لعلاقة الرحم أثناء الحمل مع المهبل (٣)، وزاوية لعلاقة الرحم مع المهبل أثناء الولادة (٤)، وكانت زاوية المرور البرزخي (٥) هي اللغز الذي يبحث عنه، ولكنه لاحظ أن الزوايا (١،٢،٣) تقريبًا متساوية، وأن زاوية (٤) زاوية مستقيمة لحظة الولادة، ولاحظ أمورًا كثيرة أخرى.

بات يسأل نفسه: هل الممر في الزاوية خمسة فوق الأرض أم تحتها؟! فالميت ينظر لأعلى أثناء الوفاة، ولكن في النهاية الجنينية، المهبل أسفل الرحم، وفي النهاية المنوية الممر أعلى من الأرض، وتحديد الفراغ الذي قد ينزل فيه المنتقل إلى البرزخ كان أيضًا لغزًا، ولكن بالقياس، قد يبدو واضحًا، فالمنويون يسقطون في رحم أوسع من الخصية ويسمونه فراغًا، وكذلك الأجنة، تسقط في الأرض ويسمونها فراغًا، ولكن لا الرحم ولا الأرض فراغ، نحن الآن نعلم أنه ليس بفراغ، وإنما هو دائرة أكبر، حياة جديدة، تحتاج إلى طاقة وقدرات

أكبر، هي فقط أوسع، وليست بحار ظلمات، وقد يكون سوء اعتقاد الأجنحة هو سبب بكائهم حين يولدون، وقد نصرخ نحن حينما نصبح برزخيين لسوء اعتقادنا، ولكن كم من جنين باكٍ عاش عمراً سعيداً!

أي أرض يعقبها ممر، فهي أرض جديدة، يظنها المرء بحر ظلمات، وإنما هي الطور الجديد، هي فراغ أوسع، والظلمات ليست لقلة النور، وإنما لقلة المعرفة والإدراك بالعالم الجديد وقوانينه، فالخوف دوماً أساسه الجهل، فما سُميت الظلمات من العتمة، وإنما من قلة البصيرة، والبصيرة تقل حين يزيد الجهل بالشيء ويقل العلم به، سميت ظلمات لقلة القدرات والتكيف في العالم الجديد، ولا علاقة لذلك بالظلام، ليست ظلمات، فكل شيء لدى الله خُلق بقدر، ولا يخلق شيئاً عبثاً.

لم يستطع حسن أن يحبس كل تلك الأفكار في رأسه، وإنما كان ينضح ببئر أفكاره على رفيقيه، بل هو يستودع عندهما ويفرغ أماكن في عقله لمواصلة التفكير، لمواصلة البحث والمسير.

ناجي : كيس هوأي إيه يا برنس؟

حسن : أيوه ممكن نكون عايشين في كيس هوأي كأجنحة للبرزخ، زي ما الأجنحة عايشين في كيس مائي للدنيا الرحم، بس ممكن يكون المأوى في هذا العالم الجيني زي المتر الهوائي اللي شايلك كجنين برزخي.....وأديك بتتعامل معنا اهوه.

ناجي ضاحكاً : وبتولد هناك لما قرن الهوا بيطش؟

خالد : خلاص يا جدعان، أنا فرحي بكره، وورايا مشاوير كثير، آه صحیح يا حسن، البت إنجي مصدعاني.

حسن : إتغيرت إنجي، بقت بتطاردني في كل حته، قلعت برقع أفلاطون اللي كانت لابساه.

ناجي : مش أحسن من المرحوم أرسطو؟  
خالد : اتم يا ناجي، خلاص.

بهدهوء، سيطر خالد وناجي على الموقف قبل أن ينفلت، واعتذر ناجي، وقبّل رأس حسن، ووزع خالد بعض المهام التي تنقصه على صديقيه، انسلخ كل منهم يؤدي دوره، ولكن لا يدرك المرء كل ما يريد.

في أحد فنادق كورنيش القاهرة، وفي إحدى قاعاته، كانوا في انتظار العريس، رفيق العمر، هم إخوته، على الباب ينتظرون الضيوف.

ناجي : إيه الشياكة دي يابرنس؟

حسن : ده فرح خالد، لازم نشرفه.

ناجي : إيه النسوان دي؟ شكله هيبقى فرح ملبن.

استشعر ناجي من أنيقة حسن أنه عاد نوعًا ما إلى حسن القديم، وبدأ يتصرف كما كان، قبل نور.

ناجي: عازين نصطاد النهارده، شوف المزه اللي جايه دي إيه ده؟ إيه ده؟ دي إنجي.

حسن : إتغيرت البت دي في الفترة الأخيرة.

ناجي : أهلاً يا برنسيه.

حسن : المحرفتي يا إنجي!

إنجي : يا رب تعجب.

ناجي : المدير يا حسن، أهلاً بيك يا فندم.

حسن : شرفتنا يا فندم.

د/ عوض : انتو ولادي يا حسن، إيه الحلاوة دي يا إنجي؟

ناجي : إتغيرت يا باشا.

تدخل إنجي للقاعة، وقد احمرت نجلًا : شكراً يا جماعة.

حسن : هي مالها قلبت على البحري كدا ليه؟

ناجي : ما قالتلك يا رب تعجب الحمار.

حضر خالد برفقة عروسه، وخلفها كثير من الفتيات الجميلات، وقد ارتدين أفضل ما لديهن من أزياء؛ حيث تعد الأفراح سوقاً كبيرةً للزواج، يبتضع منها الرجال والنساء على حد سواء، بالمزامير كانت الزفة، حضر الفرحة أهل العروسين وليف من أهل المستشفى ابتداءً من د/ عوض، مروراً باصدقاء خالد، حتى عم اسماعين ساعي البوفيه، وسلامة عامل العمليات، انطلقت الحفلة، ومعها نوبة من الرقص الهيستيري لشباب الفرحة، إلا أن الغريب أن حسن كان من ضمن الراقصين والأغرب أن إنجي كانت نجمة الراقصات.

ناجي: إنحرفت أوي يا حسن.

حسن: حلوة.

ناجي: أنا اصطدت مزه، صاحبها كانت مفكراني دكتور نسا، وبتسألني على حمل الغزلان، أصلها راحت لدكتور نسا، وقالها إنه بيحب عيال جميلة وحلوة، تعالى أعرفك عليها، إرغي معاها في أي حاجة لحد ما أخذ النمره من المزه.

حسن: فكك يا ناجي.

ناجي: طب أنا هاروح أجيبهم، بس والنبي ما تكسفي، إعمل نفسك دكتور نسا.

ذهب ناجي فعلاً، وحضر مع «المزة» وصاحبها، وعرفهما على حسن، وانشغل مع «المزة» وسألت صاحبها حسن عن حمل الغزلان فعلاً:

”دي علامه نادره، اسمها هارت مانينز لدم للحامل في ميعاد الدورة كل شهر، لدرجة أنها ممكن تعتقد إنها مش حامل لو ماعملتش تحليل حمل الدم، طبعا الدم بيبقى أقل من الدورة، وبيقبل تدريجياً، ولو كتير يبقى بوادر إجهاض، وده بيحصل في التلت شهور الأوائل من الحمل، وسموه حمل غزلان؛ لأن الغزاله تحيض وهي حامل“.

هنا سكت حسن، فانصرفت السائلة و «المزة» فانزعج ناجي.

ناجي : ماطولتش معاها ليه؟

حسن : أصلي أدركت حاجه وأنا بكامها.

ناجي : وده وقت إدراك ياعم حسن؟ أهي المزه خلعت، أرغني معاك انت يعني؟ قول أدركت ايه يا سيدي؟

حسن : إن حمل الغزلان هو نزول دم في أول تلت شهور من الحمل.

ناجي : وياه الجديد بالنسبة لك في كده؟

حسن : شهور العدة.

ناجي : عدة إيه؟

حسن : عدة المطلقة أو الأرملة، عليها أن تمر بشهور عدة، قبل أن تتزوج بأخر.

ناجي : وياه علاقة ده بده؟

حسن : زمان ماكنش في تحليل حمل، وحتى دلوقتي ممكن الواحده يجيلها دم، وتفكر إنها الدورة وماعملتش تحليل حمل، وتتجوز على

إنها مش حامل، وهي حامل فعلاً، والطفل يبقى لأب مش أبوه،  
أو حتى الزوج الجديد، يشك فيها، لأن الواد هيتولد كامل وهو ابن  
ست شهور.

ناجي : وبعدين؟

حسن : شوف، تحديد مدة العدة بتلت شهور للمطلقه، وميه  
وعشرين يوم للأرمله، والمهارة مان دى بتقول إن ممكن يحصل نزول  
دم في أول تلت شهور من الحمل، فعلاً متقاربة.

ناجي : أيوه احنا هنستفيد إيه دلوقتي إن القرآن معجزه؟ ده كلام  
مفروغ منه.

حسن : لأ، هنستفيد إن ورا كل كلمة إشاره، وورا كل تحريم حكمة،  
وورا كل حكمة فيه علم.

ناجي : وإيه العلم اللي هيطلع من كده؟

حسن : إن هارت مان دي بيقولوا إنها في أول تلت شهور بس،  
ولكن دي مده غير حقيقه، الصح إنها أكثر من كده، مدتها هي  
مدة العدة، الله هو العليم .

ناجي : وده وقت علم يا هندسة؟

انقضى الفرح، ليلة جميلة، كان الكل سعيداً فعلاً، حتى حسن، نحي أحرانه وأفكاره جانباً ليلحق بالركب البشري، سافر العريس إلى شرم الشيخ لمدة أسبوع، وانشغل ناجي مع مایسة، بقي حسن لأفكاره، انشغل بمحاولة تخيل شكل للبشرية يحوي كل هذه الأطوار في شكل مادي، فالإنسان يمر برحلة طويلة حتى يصل إلى الدنيا، وكأنه لم يتخذ شكله النهائي، وأن هناك تطورات لاحقة في الأطوار القادمة على الشكل الذي نرى الإنسان عليه في الدنيا، فالديوي متشابه مع الجنين في الشكل والصفات، ولكن الحجم مختلف، وكذلك القدرة والحواس، وهو بالضبط الفارق بين الجنين والمنوي .

شبه حسن المرور البشري عبر الرحلة الإنسانية نحو دار الخلود بالنهر، النهر البشري أو الممر البشري، وهو ما تتدفق فيه الأرواح عبر بعضها، فبداية هذا النهر عند آدم -عليه السلام- ونهايته مع آخر بشري يأتي إلى الدنيا، كلما تقدم النهر البشري في الدنيا، فهو ينشق إلى ممرات خاصة أصغر، وترع أقل فأقل، يمر من أجناس إلى عائلات إلى أصغر الوحدات في الممر البشري، وهي الأسرة، ثم إلى الإنسان نفسه، وكأن الإنسان يحمل نسخة كاملة مصغرة لهذا الممر، فالنهر البشري يحمل في قاعه المنويين، ويقبع عالم الأجنة في منتصف منسوب الماء، ويعيش الدنيويون على سطح الماء، وقد يكون البرزخيون الهواء الذي يعلو النهر.

الجميع موجود في نفس الوقت، ولكنه اختلاف طبقات، يتصاعد وجود المرء، وينتقل من عالم إلى آخر، حتى يصل إلى السطح،

تأتي البشرية كل مائة عام تقريبًا بفيضان بشري إلى الدنيا، فيه أناس جدد، وأجيال جديدة، لها أحداث جديدة، ومن ثم تتغير سياسات الأرض وأفكارها، هو فيضان للمتزامنين ذوي الأحداث المشتركة، وتمر الفيضانات البشرية المتعاقبة تباعًا.

ينقسم الممر البشري إلى قسمين: عام وخاص، الممر العام في تدفق مستمر حتى نهاية النهر والبشرية، والخاص هو أنت وأبوك وجدك؛ لذا فالممر الخاص إما مستمر تتواصل فيه الذرية عبر بعضها، وإما أن يكون مغلقًا بشكل تام حتى النهاية، وذلك لأن التدفق البشري في هذا الممر انتهى وانقطعت الذرية، أو يكون مغلقًا بشكل مؤقت وبعدها ينفرج وتعبّر منه ذرية، وذلك لأن كل موت هناك يصحبه ولادة هنا، وكل موت أو ولادة لها ميعاد وتاريخ، كل شيء بأوان؛ لذا قد نجد أزواجًا عقيمة لبعض الوقت، ثم يكون لها أولاد، ولكن هل الموت أو الولادة في أي عالم هي لانتهاؤ الأحداث في العالم القديم، أم لبداية أحداث المرء في العالم الجديد؟

عاد خالد، وانتهت عزلة حسن، وللمرة الأولى يطلب حسن منه العون في أبحاثه الجديدة، هو يدرك أنه غير مقتنع بكلامه، ولكنه الآن يستجدي فيه عون الصديق، فلم يعد يتحمل هذا السيل من الأفكار.

خالد بحدة : إنت عايز إيه من ده كله؟

حسن بهدوء : ولا حاجه، هي أسئلة بس بتشغلني، بحاول أوصل لإجابات .

خالد : ولأ عايز توصلها؟ كده هتتجنن .

خالد : كتير قبلك حبوا وعشقوا واتجننوا كان، بس ماحدث عمل  
عمايك دي .

حسن : الله يرحمها .

خالد : أنا خايف عليك .... ودي غيبيات، الدين نهانا عنها .

حسن : وأمر بالتدبر برضه .

خالد : وده تدبر ولأ كفر؟

حسن : تأمل طبعًا، الحاجه أم الاختراع .

خالد : ماهم حاولوا قبل كده يحطوا كاميرات في قبر .

حسن مقاطعًا : مش هيوصلوا لحاجه .

خالد باستغراب : فعلاً ماوصلوش والكاميرات اتكسرت كان .

حسن : ده طبيعي .

خالد : ليه؟

حسن : قوانين هناك مش زي قوانين هنا، زي ما قوانين هنا غير

قوانين الأجنة، ماينفعش الجنين يعاملنا بقوانين الرحم .

خالد : وتصورك إيه؟

حسن : خيلنا نسأل سؤال تاني .

خالد : إيه؟

حسن : لو جنين عايز يوصلنا يلزمه إيه؟

خالد : سكه وقدره زي ما قلنا .

حسن : وقدرتنا مش عنده، ولا قدرة البرزخيين عندنا.

خالد : يبقى ناقص سكة.

حسن : وهو ده اللي احنا بنعمله، عايزين نعرف السكة.

خالد : إزاي؟

حسن : ما الجنين بيعدي على المهبل طول الحمل.

خالد : صحيح.

حسن : بس مش عارف إن هي دي السكة.

خالد : طب وإن بتعدي على السكه البرزخية عرفتها؟

حسن : ما أدينا قسمنا الموضوع لأطوار، وأراضي، وممرات، وعملية

مرور، وزاوية مرور، وفراغ، بس ناقص نعرف القدرة بتيجي إزاي

ساعة المرور؟

خالد : أيوه، يعني عايز إيه؟

حسن : نعمل معادلتين ينتج عنهم عاملين تكبير، المعادلة الأولى

بين الدنيويين والأجنة، ومن خلالها نعرف التغيرات اللي تحصل،

وعنها تزيد القدرة في نهاية كل طور، وتتسع الرؤية ويستطيع الإنسان

أن يعيش في الطور التالي.

خالد : يعني مقارنة أحداث الولادة وأحداث الموت.

حسن : الله ينور عليك، ما الإتنين نهايات لأطوار، إيه اللي بيخلي

الولادة تحصل؟ وإيه اللي بيكسب الجنين القدرة والتطور لينتقل

إلينا ويتفاعل معنا في الدنيا؟! حلقة الإنتقال مهمة، هي اللغز.

خالد : وأحداث الحياة هنا وهناك؟

حسن : لأ، هتاخذ وقت، نأجلها دلوقتي، ممكن نبقي نخط كاميرا تصور الأحداث حالياً، أو ممكن نقارن دروس علم الجنين بأحداث الدنيا، أنا لاقيت تشابه في جزء كبير.

خالد : والخطبة بتاعتك إيه؟

حسن : نبتدي من الرعاية المركزة وكشك الولادة، نسبة الوفيات والولادات عالية، ومن خلاله نقدر نلاحظ تغيرات معينة بتحصل في كذا حالة، أو نلقط تحاليل معينة، أو مواد معينة بتفرض.

خالد : ماشي، بس نحاول ننسى نور شويه، إنجي مصدعه دماغى وتليفونى.

حسن : فكك منها، هو إنت تعرف نور مدفونه فين؟

خالد : طبعاً.

حسن : عايز أزورها.

في عصر اليوم التالي، في يوم ربيعي معتدل، والشمس أوشكت على المغيب وقد احمر لونها اتجها إلى قبر نور، لأول مرة يذهب حسن لزيارتها، وكأنه يطمئن نفسه بأنه أوشك على التواصل معها، الاستمتاع برفقتها، ما كان يجرؤ على هذه الزيارة منذ عدة شهور، وكأنه كان يقضي عقوبة نفسية لاهتزاز حبه داخله، أو أن نفسه لم تكن تقوى على مواجهتها، كلما زاد بحثه في التقدم وإحراز نتائج، كانت نفسه تستعيد عافيتها، تبدأ تدريجياً، بل ويعود للتكيف مع الدنيا والتأقلم مع أهلها، فقد رحلت وتركته معلقاً، لا هو لأهل الدنيا، ولا لأهل البرزخ، عقله هناك معها، وروحه لا زالت في الدنيا، وصلاً إلى القبو الأصفر الذي تقبع خلفه نور الحسيني، أو كما كانت تدعى في الدنيا، وقفنا يقرآن الفاتحة، وبدأ يحدث طيفها في صمت دنيوي: «أسف حبيبي باعتر، إنني أكيد حاسه باللي أنا فيه، ما تعلقيش، هما شوية أحداث وأجيلك، أو يمكن أعرف أوصلك وأنا هنا». انتهى حوار، وأيضاً انتهى الصمت الدنيوي، وبادر بسؤال خالد.

حسن : لو اتنين حوامل واقفين عند قبر، كم نوع من الحياة، أو كم عالم موجود؟  
خالد : الطبيعي هي الحياة الدنيا.

ولكن على كلامك، يبقى في الحياة المنوية، والحياة الجنينية، والحياة الدنيا، والحياة البرزخية، أربع أنواع، وممكن نقول الخلقية يعني خمسة.

حسن : لأ، ستة أنواع .

خالد : الآخرة لسه مش دلوقتي، وعلمها عند ربي .

حسن : لأ، أنا أقصد حياة الجن .

خالد : آه صح، ماهم موجودين معنا .

حسن : كل واحد في حياته، ولكنهم مجتمعين في متر مربع من

الأرض، صح؟

خالد : تمام .

حسن : إيه بقى اللي يفصلهم عن بعض؟

خالد مازحًا : إيه، عايز تعمل قانون للمرور وتخفف زحمة الشوارع

البشرية؟

حسن : إنت بتهزر؟

خالد : أنا برضه؟

حسن : زي ما جدار بطن الأم فاصل، وكيس الخصية حاجز،

أكيد في جدار بطن الأرض يفصل بين الدنيويين والبرزخيين، بس

مين شايف مين .

خالد : إحنا دلوقتي بقينا بنشوف الأجنه والمنويين .

حسن : يبقى أكيد البرزخيين بيشفوننا .

خالد : فعلاً ممكن يكونوا اخترعوا سونار .

حسن : مش محتاجين .... قدراتهم أعلى من قدراتنا .

خالد : طب إحنا بقينا بنتدخل في حياة الأجنة ونؤثر فيها،  
البرزخيين سايننا ليه؟

حسن : زي ما بقينا بنحقن الجنين بدم أو علاج داخل بطن أمه،  
إيش دراك إنهم مايكونوش بيحقوننا صحة أو حكمة أو حتى فلوس؟  
يعني الأجنة عارفين إيه اللي إحنا بنعمله؟

خالد : آه صحيح، زمانهم مش فاهمين إيه اللي بيحصل، زي ما  
احنا مش فاهمين البرزخيين بيعملوا إيه.

حسن : طب احنا بنتعامل بالفلوس، البرزخيين بيتعاملوا إزاي، ولا  
حتى الأجنة.

خالد : العمل، الحسنات، السيئات، ممكن تكون أرصدتهم، أنا  
عارف يا عم حسن؟

حسن : اتضايقت؟

خالد : لأ، ما تيجي للحياة الدنيا.

حسن : شكلك مش مصدق.

خالد ساخرًا : أصدق ايه يا ايه؟

حسن محتدًا : ولما انت مش مصدق، ولما هو خيال، وهما مش  
بيسمعوك، ليه بتزور القبور؟ بتتونس بيهم؟ ولا مشتاق إليهم؟ بتعمل  
حاجات وانت ماشي أعمى؟ ولا حتى عايز تفهم!

خالد : خلاص يا عم مصدق.

حسن بهدوء : بلاش، ايه اللي بي فصل أطوار البني آدميين عن بعض؟ إيه اللي بي فصل الإنس والجن عن بعض؟ مصدق إن في جن ولا لأ؟

خالد : آه طبعا مصدق، وبخاف منهم كان.

حسن : ما تخافش أكيد في قانون بينظم العلاقة بين العالمين.

خالد : يعني إيه؟

حسن : ربنا هو العدل، وهو رب العالمين، وأكيد مش هيخلق الجن بإمكانياته ويخليه يشوفنا بدون ما يدينا طاقة معينة، أو حاجز معين يحمينا بيه، بل يمكن ما لدينا من طاقة وسلطة عليهم أكبر، ودليل ذلك أن الله سخرهم لنبيه سليمان -عليه السلام- ومن عدل الله إخفاء تلك القدرة عنا نحن البشر، حتى لا نسيء استخدامها، ولا يمكن القدرات متعادلة ومخفية كي لا يطغى العالمين على بعض وتمتلى الأرض فسادًا ودمًا، أكيد فصلنا عن بعض وخوفنا من بعض رحمة بينا كلنا.

خالد مرتجفًا : بقولك بخاف كفايه، بخاف من سيرتهم يا أخي.

حسن مبتسمًا : لا إنت خايف من حواديت جدتك عنهم.

خالد : لا، بخاف منهم بجد.

حسن : يعني لو فتحت الحوار ده معاك هناك في المستشفى كنت هتخاف كده؟ كنت هترتعش كده؟ ويمكن لو سبتك لوحدهك دلوقتي يغمى عليك من الخوف وتصدق إن الجن هو اللي عمل كده فيك، وتحكي الحدوته وتزود الأساطير، يا بيه حواديت جدتك

هي اللي بتخوف مش الجن.  
خالد : ماشي يا سيدي.

حسن : يعني مصدق إن في جن، وخايف منهم، ومش مصدق إن  
في برزخين على الرغم إنك عمرك ما شوفت الجن؟  
خالد : يالآنمشي ياعم حسن ربنا يهديك.

كان الظلام قد خيم على المكان؛ فانصرفا تلبية لخوف خالد، دون  
أن تكون الإجابات شافية عن قضية المتر المربع الواحد من الأرض،  
وما يحمل من أنواع الحياة، وما خلف هذا من إعجاز، وكيف أن  
هذه الأنواع من الحياة تجتمع في هذا المتر دون ازدحام؟ لكن سؤالاً  
آخر رحم حسن من تلك القضية، فبات ليلته مشغولاً بالسؤال  
الجديد، ألا وهو: ما هي درجات القرابة هناك في البرزخ؟ هل عندهم  
أصلاً أنساب أم لا؟ درجات القرابة عندنا في الدنيا يحدها رفقة  
الممر في الطورين السابقين، نصح إخوة للأب إذا كنا رفاق الممر  
المنوي، وإخوة للأم إذا كنا رفاق الممر الجنيني، أو إخوة لكليهما إذا  
اشتركنا في الممرين، نحن هنا نتساءل بالأرحام، تأخذنا العصبيات،  
كل شيء يصب في رفقة وقرابة الممر، فهل يتعصبون هم للرحم أم  
يتساءلون بالقبر؟

نحن نقول: إننا أبناء أم واحدة، أو أب واحد، فهل يقولون هم  
نحن أبناء قبر واحد، أو رحم واحد؟ فالإنسان اسمه في الدنيا عبارة  
عن ممر ممتد، فأمه هي الأرض السابقة، والأب هو الممر الأسبق،  
فتكون الأم في الدنيا هي صاحبة الرحم، والأب هو حامل الحيوان

المنوي، الحياة السابقة هي الأم، والحياة الأسبق هي الأب، وهناك في البرزخ الحياة السابقة، هي الدنيا؛ لذا فالأرض هي الأم، والأب هو الحياة الأسبق، إذن الرحم هو أبو البرزخ .

هنا أدرك حسن المقولة التي تتردد بأن الإنسان في الآخرة يُنادى باسم أمه، ولكنها آنذاك ليست أمه، وإنما هي أبيه، فلعل الرحم أمًا في الدنيا أبا في البرزخ .

أب أم ممر؟ ما هي درجات القرابة؟ هذا السؤال دفع حسن إلى تكرار الزيارة للمقابر منفردًا، وجمع المعلومات عن صاحب القبر المجاور، بل وزاره، وعرض عليه شراءه .

صاحب القبر: ما ينفعش يا بيه، ده قبر أبويا وجدودي، وأنا إن شاء الله .

حسن : وهيفيدك بايه؟ أنا هديك مبلغ كبير .

صاحب القبر محتدًا : يا بيه بقولك أهلي!

حسن : وانت عايز منهم إيه بعد ما تموت؟

صاحب القبر : عشان نبقي مع بعض .

حسن : بقولك انت خلاص هتبقى ميت .

صاحب القبر : لا، ما احنا لو اتدفنا مع بعض هنبقي مع بعض، ده انا كل ما حد يموت بابعث معاه سلامي لحبايبي هناك، وبازورهم كل أسبوع، وأتكلم معاهم، وما بارتحش غير لما بفضفض معاهم .

حسن : إزاي يسمعوك دول ميتين؟

صاحب القبر : بيسمعوني يابيه، أومال دعائي وصدقاتي بتوصلهم إزاي؟

لم يطل عليه حسن كثيرًا، وانصرف خشية أن يحتد عليه، وبعد عدة خطوات، أدرك حسن أنه ممكن أن يكون على صواب "صحيح، ما عمر بن الخطاب، وأبو بكر طلبوا يندفنوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يعقوب -عليه السلام- مدفون مع إسحاق عليه السلام".

هذا الاستنتاج زاد حسن جزءًا من اليقين بوجود حياة وأنساب هناك، ولكن كان لرفض صاحب القبر تأثير سلبي على حسن وحالته النفسية، عائق جديد قد يحول دون الوصول إليها، ولكن سرعان ما تبدد الحزن حين أدرك أنه لو مر من نفس الرقعة الأرضية، ومن نفس القبر، قد يكون هناك في البرزخ أخ لها، أو حتى محرم عليها، كان هذا سببًا في انفراج حزنه، ذهب واشترى قبرًا على أطراف نفس المقابر، كي يضمن إن هو دفن فيه، أن يكون معها في نفس القرية البرزخية، وأيضًا غير محرم عليها، فلا بد أن هناك قوانين نسب أيضًا.

حين علم ناجي العناني بهذا الأمر ضحك كثيرًا، بل ورماه بالجنون رسميًا، حين كان حسن يوصيهما إن هو مات، وهما حيان أن يدفناه في القبر الذي اشتراه، استفز الموضوع ناجي «مش قولتلك هيتجنن يا عم خالد.. ياريتة ما كان قابلها».

أسر حسن حزنه في قلبه، واستأذن منهما، هو لا يفكر في شيء سوى نور الحسيني، تلك الأنثى كثيرة الآلام، ذات الروح الجذابة،

من أخرجته عن إحدائيات الدنيا، تدور حول رأسه ذكرياته معها  
ما بين حزن لذيد وفرح ممتع، استفاق من نومه سعيداً، ذهب إلى  
الرفاق منتشياً.

ناجي : وحشتنا ضحككتك يا عم.

خالد : شكلها قصة حب جديدة.

حسن : لا قديمة.

ناجي : إنجي؟

حسن : نور.

ناجي : ماتت، يا بني ماتت.

حسن : شوفتها.

خالد : في الحلم؟

حسن : أول مرة، كأنها حاسه بيا.

ناجي : لسه فاكره؟ دا احنا قربنا نموت.

خالد : بطل رخامه يا ناجي، وشوفت إيه؟

حسن : مش مهم شوفت إيه، المهم إننا ممكن نتواصل.

خالد : بس في الأحلام واحنا نايمين.

حسن : واحنا نايمين، نايمين، ايه بقى اللي بيحصل؟ وإزاي الأطوار

بتسيح على بعضها؟

ناجي : هنرجع نتجنن ثاني؟

خالد : استنى يا ناجي، واحنا نايمين الجثة بتبقى عندنا زي ما هي،

بتروح هناك إزاي؟

حسن : إزاي الروح بتتحرر من القوانين الأرضية؟

خالد : صحيح الروح هي اللي بتروح.

حسن : هي قصة المتر المربع بتاع الأرض، محدش بيروح اسمها بيتقابلوا.

خالد : بس هما اللي بيحددوا مش احنا.

حسن : ما احنا بنشوف ساعات ناس عايشين معنا برضه.

خالد : عايز تقول إيه؟

حسن : قصدي إن احنا كان بنحدد، بس في قوانين بتسيطر علينا واحنا نايمين.

خالد : ممكن يكون النوم مرحله وسط بين الدنيا والبرزخ.

حسن : النوم موت أصغر، والموت نوم أكبر، بس إيه اللي بيحصل؟

خالد : سيبك، عايزين نفرح بيك.

ناجي : هو ده الكلام، إنجي هتنسيك وتفوقك وترجعك البرنس بتاع زمان.

خالد : البت بتحبك وأظن كفاية عليها كده.

حسن : أنا عارف، هي تستاهل حد أحسن مني.

ناجي : كنت معترض على كتاب ماشى على الأرض، أديك بقيت مجنون عايش بينا.

خالد: المفروض كده إنك هديت شويه.

حسن : يا جماعة أنا مرتبط .

ناجي : يا أمي، بص أقولك التجوز عليها.

خالد ضاحكاً: حلوه يا ناجي.

لمعت عينا حسن : مقدرش أخونها.

خالد: يابني أبوك عايز يشوف حفيده.

ساد الصمت المكان للحظات، وقف حسن يهيم بالرحيل، شعر صديقه بأن الهجوم كان قاسياً، والجرعة زائدة، بل لمسوا في إصراره إخلاصاً لنور، أو لقصة حب لم يسمعوا عنها من قبل.

ناجي : طب استنى اشرب القهوه .

خالد: خلاص ياعم ماتقفش بسرعه كده.

حسن: هاروح اشوف حاجه في القسم واجي.

ناجي: طب هنسهر عندك الليله .

حسن: لا الليله هاريمح .

خالد: شكلك زعلت .

حسن : عيب يا جدهان، انتوا اخواتي .

ناجي: خلاص هنجيلك .

حسن: خلاص نسهر على قهوة مجدي .

ناجي : يافرح الله! أخيراً .

الفرحة كانت واضحة ولا عجب في ذلك، فهم يستعيدون غائبًا طال فراقه، عاد إلى مقاليد الحياة وأعرافها، اقترنت الفرحة بدخان الشيشة القص وأصواتها التي لطالما اشتاق إليها ناجي، استأذن حسن هاربًا من نظرات لا زالت تتهمة بالجنون وتبدي فرحة مشوبة بالقلق، بل هاربًا من إحساسه بالذنب الذي يمزق ضلوعه، أو ربما هروبًا للحفاظ على إخلاصه لها ومواصلة البحث عنها.

”أقنعهم إزاي؟ هما خايفين عليًا، متعاطفين معايا، بيرضوني، الطريق الوحيد للوصول إليها هو الموت، بس كل واحد له ساعة وقدر، يمكن فاضلي شويه سنين أو أيام وأروحها، بس العمر مش شوية سنين، العمر شوية أحداث يمر بها الإنسان، تكون نهايته عند نهاية أحداثه، ليس كام سنة وإنما كام حدث، وذاك علمه عند الله وحده، هو المطلع وحده على الغيب، ويختص فقط من عباده من يريد لإطلاعها على جزء من ملكه».

فعلًا العملية أحداث مش وقت، لأن الزمن مختلف عن الوقت. زاد اهتمام حسن بالبحث عن هذه النقطة، محاولًا تعريف العمر، أو التوصل إلى بعض المعلومات التي قد تقربه أو تساعده في بحثه، ونحو المزيد من المعرفة، كان أسير شبكة الإنترنت لفترة من الوقت، باحثًا عن كلمة الزمن، زاد انشغاله، واتهمه رفيقاه بالتقصير في حقهما، ولما تحجج بأنه مشغول بقضية فكرية مهمة، لم يرضخا لكلامه، فهذا هو ما يقلقهما عليه، يخشيان عليه من عقله، من فكره، من تلك القضايا التي تلاحقه، فكما غاب عنهما، ترقبا فاجعة فكرية جديدة قد تحل برفيقهما، لم يكن خالد كعادته على الإفطار بشوشًا فرحًا يستقبل يومًا جديدًا.

حسن: قالب وشك ليه؟

خالد: مراتي عند حماتي.

حسن: متخافين؟

خالد: لا والله.

حسن: خير؟

خالد: أصلها حامل.

حسن: مبروك.

ناجي: وايه اللي يزعل في كده؟

حسن مبتسمًا: وحشاك ولا محتقن؟

خالد: هي العلاقة الزوجية ممنوعة مع الحمل؟

حسن: مش بالكامل.

خالد: أيوه وضح، هو انا عيان عندك في العيادة؟

حسن: تبقى بالراحة ومرات قليلة، ولو نزل دم تمنع خالص.

خالد: ليه بقي وبالتفصيل؟

حسن: بهدوء، علشان نقلل اصطدام الرحم والممرات؛ لإن الصدام بالظبط زي ما يكون حصل زلزال هناك، ومرات قليلة عشان سائل الرجل بيعمل انقباضات في الرحم؛ فيحصل ولادة مبكرة، لو الحمل في النص الثاني، وقبل التاسع أو إجهاض لو الحمل في النص الأول.

خالد: إجهاض! هو ده بالظبط اللي هي خايفه منه.

ناجي: وافته بتسألها عشان هو خبير جنيني استراتيجي، ولا عشان

محلل ممرات؟

خالد : لا عشان هو رذل وسخيف .

ناجي : بيقولك زلزال، وممرات .

ناجي مبتسمًا : ما سمعنا مثل هذا من قبل ...أراه قد فقد عقله ياسيدي .

خالد: بطل رخامه يا واطي .

ناجي : اللي هي هتعمله فيك هتطلعها علينا ولا ايه؟

خالد: شكلي اتسرعت في الجوازه دي ياد يا ناجي .

ناجي : طبعًا .

حسن : مافيش حاجه اسمها اتسرعت .

خالد: لا يا حسن كان لازم أتأني شويه .

ناجي : ما قولتلك الجواز لا يفيد .

حسن : يابني هي نصيبك، هي نصك الثاني .

ناجي : فكك من كلام الأغاني والأفلام ده، الواد تعبان وببيشتكي .

خالد: آه صحيح يا ناجي يا خويا .

حسن : بلاش انت وهي، ابنك ينفع يبقى ليه أم تانيه غيرها؟

خالد: لا .

حسن : أب تاني غيرك؟

خالد: لا .

حسن: يمكن انت ما تعرفش مراتك لو قابلتها من عشر سنين،  
لكن هو ما يعرفش أم غيرها، ولا أب غيرك، هو التقاء ممرات  
الآباء، وله إنتاج من الأبناء، وما دام في إنتاج لازم يبقى في التقاء.  
ناجي : يعني ايه؟

حسن: يعني لو بصيت من أول الطريق ممكن ما تبقاش مقتنع  
بالجوازه، لكن لو بصيت من آخره من ناحية العيال هتقول كان  
لازم يحصل، وھتعرف كان إنها أمه ومراتك، وإن أنت أبوه وجوزها،  
ساعتها بقى مش هترهق نفسك في الاقتناع أو في معرفة مراتك، فلو  
انت متعرفش مراتك، أكيد هو يعرف أمه.  
ناجي : إنجز ياعم المأذون، وبناء عليه؟

حسن : إن الجواز ليس منحة من سي السيد المهم، ولا تكرم من  
ربة الصون والعفاف والدلال، وإنما هو تواصل حتمي له إنتاج،  
حتى لو الجوازه مش متكافئة، ما دام في عيال يبقى لازم يكون في  
جواز في ميعاد لإن الولادة ليها ميعاد.

خالد: مقلناش حاجه ياعم الشعراوي، بس فين أيام مقدرش على  
فراقك لحظه ياخالوده يا حبيبي؟  
ناجي : ضحكت عليك يا اھبل!  
حسن: الضنا غالي برضو.

ناجي : ما قلناش حاجه ياسيدي، بس مش لدرجة إنها ترميه كده.  
حسن: هي مراحل، وهو دلوقتي كنبه في حياتها.

خالد منزجًا : نعم، بتقول إيه؟

ناجي مبتسمًا : عيب يا حسن.

خالد : إنت عرفت إزاي؟

حسن : الراجل بيمر في حياة مراته بتلت مراحل : الأولى حبيب،  
والثانية كنبه، والثالثة دليفري بوي.

خالد : أيوه ياخويا وعيني، إزاي؟

حسن : في أول العلاقه تبقي على الحجر، ومافيش غيرك، وتبقي  
الحبيب والدنيا ماتمشيش من غيرك، والمراقبه تبقي مستمره، وكنت  
فين وجيت منين؟

خالد : فعلاً ده حصل، وبتتحول إمتي؟

حسن : لما يجي المولود الأول، بيبقى أهم منك، وتنزل درجه في سلم  
الاهتمام، ويبقى هو على الحجر وانت على هامش حياتها، والمراقبة  
طبعًا تخف، وانت تحس بالإهمال.

ناجي : بتستعمله كملقح يعني.

خالد : يعني خدت غرضها مني ورممتني!

ناجي : وانت نولتها غرضها ولقحت بسرعة ليه؟

خالد : بطل زيطة يا جزمه.

ناجي : وامتى بيبقى دليفري ياعم، عشان عايز أطلب أوردرد؟

خالد : انتة قاعد تلعب يا ناجي؟

ناجي : لا قاعد اهزر، كنبه إيه وممرات إيه يا كلاب؟

خالد: لا فعلاً ده كلام صحيح، أنا ابتديت أحس بالإهمال أول ما عرفت إنها حامل، لدرجة إني ابتديت أغير وأحس بالفراغ العاطفي، بس مقدرش أتكم.

ناجي : خلاص ياعم، إمتي هيبقى دليفري عشان يلاقي حاجه تشغله؟

حسن : لما المولود التاني يشرف، ساعتها محدش هيبقى فاضيله، هيبقى بتاع زبادي وفينو.

ناجي : وأنا أحب أضيف مرحلة رابعة.

خالد : إيه؟

ناجي : بركة البيت، وده طبعاً لما العيال تكثر، ويطنطوا على كرشه.

حسن ضاحكاً : حلوة يا ناجي.

ناجي : ساعتها الزوج بيلعب دور الجبلاية في عالم القروود.

خالد: يعني أنا التجوزت ربع ساعة بس!

ناجي : زعلان على نفسك؟

حسن : ماهوعليك وعليها.

ناجي : آه صحيح، ما هي كان بتتحول لداده.

خالد : أو حنفي.

ناجي : أهلاً بيك صابع زينا من تاني.

حسن : وده سبب كتير من المشاكل الزوجية.

خالد : العيال؟

حسن : لا الإهمال، العيال سبب إرساء العلاقة الاجتماعية واستمرارها، أما انشغال الزوجين عن علاقتهم هو سبب فتور أو موت هذه العلاقة.

خالد : فعلاً أنا إبتديت أحس إن علاقتنا بتضيع.

ناجي : يعني يودوا العيال الملجأ؟

حسن: لا يا صايغ، يهتموا بالعلاقتين مع بعض، كل واحد منهم يتأهب لحياته الجديدة، ويخلص لها، ما عدش مكان لاهتمامات وحسوة قبل الجواز.

ناجي : ايوه يا خالد، لا تقولها قهوه ولا تقولك كوافير، اكبروا بقى يا أخي.

خالد : ربنا يكملها بالستري يا رجاله.

يرن تليفون حسن : بس يا رجاله، أيوه يا بابا.

صوت نسائي : «هو حضرتك تعرف صاحب الموبايل ده؟ أنا اتصلت بآخر نمرة هو كلها».

حسن : أيوه انا ابنه.

”طب في عربيه خبطته دلوقتي والإسعاف جات خدته، لو سمحت إبعث حد ياخذ التليفون».

حسن : وهو عامل ايه؟

«خدوه المستشفى».

حسن : فين يعني؟

«معرفش راحوا فين، بس بتاع الإسعاف قال إنه مات، البقية في حياتك».

سكت حسن لحظات، ثم سقط مغشيًا عليه، سقط التليفون، فقد الاتصال، هرول ناجي مجريًا بعض الإسعافات الأولية، وسرعان ما استعاد وعيه، وقام يجري وهما خلفه.

ناجي : في ايه بتشتكي من حاجه؟

حسن : بسرعة.

خالد : خير؟

حسن : ست كلمتني من تليفون أبويا.

ناجي : أبوك متجوز يعني؟

حسن : بتقول التليفون معاها.

خالد : خلاص ياعم، هنروح نجيبه بس بالراحة.

حسن : بتقول عربيه خبطته والإسعاف خدته.

ناجي : ايه؟

خالد : طب استنى هنروح على فين؟

توقف حسن : بتاع الإسعاف بيقول إنه مات.

ضمه ناجي بشدة: «البقاء لله» «حالة من الصمت تخللتها خطواتهم

حتى خرجوا من المستشفى.

ناجي : هي قالت فين؟

حسن : ما قالتش.

خالد : اتصل بيها.

حسن : غير متاح.

خالد : نتصل بالإسعاف نعرف فين مكانه؟

حسن : معهوش إثبات شخصية.

ناجي : إزاي؟

حسن : كان رايح المرور، اكتشف إنه نسي المحفظة، فقال يرجع، كان لسه مكمني.

خالد : طب والعمل؟

ناجي : زروح القسم.

خالد : بيقولك خدوه على المستشفى!

ناجي : ما هي أكيد هتبعث إشارة للقسم.

خالد : إزاي وهو مش معاه أي إثبات شخصية؟

ناجي : هنروح نستنى أي إشارة بموت مجهول.

خالد : بس قسم ايه؟

حسن : الهرم، كان في منطقة الهرم وقت ما كلمني.

وبالفعل، توجهوا إلى قسم الهرم، لا يزال حسن يكرر الاتصال

بالتليفون، ولكن دون جدوى، قسم الهرم لم يتلقَ أية إشارات، ربما تأتي واحدة بعد قليل، الانتظار مهلك، وحرارته تزيد إن كنت في انتظار المجهول، أشار خالد بالتوجه إلى استقبال مستشفى الهرم، لا أحد صدمته سيارة اليوم عندهم، الموضوع يزداد تعقيدًا، والوقت لا يمر، بل بدون أحداث جديدة، الوقت بدون أحداث فراغ قاتل، خاصة في مثل هذه اللحظات، عادوا إلى قسم الهرم، الضابط متعاطف معهم، حضرت إشارة بوفاة رجل صدمته سيارة، خفق قلب حسن، وتسارعت ضرباته، ولكنه ليس مجهولًا، له بطاقة ورقم قومي، عاد القلب لطبيعته، وأيضًا عاد الانتظار إلى فعلته، مؤرق، مهين، بل ولعين، ليس د / محمد صبري، ربما تأتي إشارة أخرى بعد قليل بموت مجهول، احتراق الأعصاب يزيد، أشار الضابط بأن يمرروا محضرًا بأنه مفقود، ويرفقونه بصورة للمفقود؛ وبناء عليه يمكن الاستعلام في المستشفيات والأقسام المحيطة عن وجود حادث أو وفيات اليوم، وهو سيستثني هذا المحضر من مرور المدة المطلوبة لاعتباره مفقودًا، توجه ناجي فورًا إلى شقة حسن لإحضار الصورة بعد أن وصف له حسن مكان ألبوم الصور، بقي حسن يشغله أبوه، أين هو الآن؟ أين ذهب؟ هل تزداد الرحلات رحلة جديدة؟ هل ازدادت الطلعات الاستكشافية في الكون؟ بل هل سيُعثَر على جثته؟ هل سيكون له قبر، أم أنه سيمر من الدنيا مجهول الهوية بدون بطاقه تعارف، أو رقعة أرضية للزيارة من أهل الدنيا؟ هل ازدادت القبور التي يتواصل معها قبرًا؟

خالد : كان عاز يشوف أحفاده.

لم يرد حسن، فشعر خالد أنه أخطأ، وأن هذا ليس وقت الكلام التحفيزي، لا تصلح مثل هذه الكلمات في هذا الموقف، وفي محاولة لتدارك الخطأ. «متشددش أعصابك لسه الخبر مش أكيد».

حسن : خبر إيه؟

خالد : الوفاة.

حسن : الست قالت إنها شافته، شافت صاحب التليفون.

خالد : كانت ردت، تلاقيها سرقت التليفون وعايزه تجررك عشان تقلبك.

حسن : تصور ممكن خاصة إن التليفون اتقفل.

خالد : شوفت؟ إن شاء الله خير، بس دي رسالة من ربنا ولازم تحترمها.

حسن : رسالة إيه؟

خالد : إنك ترجع عن السكه الي انت ماشي فيها، بلاش تعمل مصطفى محمود.

حسن : وماها السكة؟

خالد : إنت بتتدخل في مواضيع لا قبل لك بيا.

حسن : إحنا بتندبر.

خالد : بس التدبر له حدود، مش كلامك الغريب.

حسن : وإيه الغريب في كده؟ ما هو بيطلع أفكار جديدة، وأي فكرة جديدة بتاخذ وقت عشان الناس تهضمها.

خالد : أفكار ماشي، بس بعيد عن كلام الدين .

حسن : ما العلم فايدته يفسر الدين، والدين يهدي للعلم، الإثنين مش منفصلين .

خالد : أيوه بس أي حد هيسمعك ممكن يقول عليك مجنون أو يكفرك .

حسن : ليه يعني يا أمور؟ ده أنا زاد إيماني بالله وما كفرتش ولا حاجة .

خالد : قولهم بقي .

حسن : يعني لو رقاصة بترقص قدامهم مش هيتلموا حوالياها؟  
خالد : غالبًا .

حسن : يعني اللي بتعمله هيبقى حلال من وجهة نظرهم؟

خالد : بس برضه الكلام غريب، أثبتلك؟

نظر خالد إلى أحد الواقفين، وبعد الابتسام له وفتح حوار معه :

” تعرف إيه عن البرزخ؟“

الرجل : بتاع اسكندرية؟

خالد : إسكندرية إيه؟

الرجل : مش قصدك اللي في المينا؟

خالد : أيوه أيوه ده في اسكندرية صحيح .

حسن : إسكندرية ايه يا ابني؟

خالد : تمام يا حاج شكرًا.

ابتعد خالد بحسن قليلاً عن الرجل خشية استفزازه؛ فقد لمح خالد في عينيه اتهامهم بالجهل، وأنهم يسخرون منه.  
خالد : هوه قصده البوغاز.

ضحك حسن : لا يا راجل، فعلاً الكلام ممكن يبقى غريب.  
يرن تليفون خالد : أيوه يا زفت اتأخرت ليه؟  
ناجي : تعالوا.

خالد : في مشكلة عندك؟ مش عارف تدخل؟  
ناجي : لا أنا قابلت د/ محمد صبري على السلم.  
كان ناجي انزعج حين التقى د/ محمد صبري أثناء عودته.

د/ محمد صبري : إزيك يا ناجي؟  
ناجي واجمًا : حضرتك كنت فين؟

د/ محمد صبري : كنت في الشركة باقفل الشريحة.  
ناجي : ليه؟

د/ محمد صبري : الموبايل اتسرق مني، فين حسن؟

ضحك د/ محمد من تدايعيات الموقف بعد ما حكاه ناجي، استغرب كثيراً من أن الرجل الذي سرق الموبايل هو الذي لقي حتفه وهو يعبر الشارع، فلم يكن يدرك أن موبايله اتسرق حين نزل مهرولاً من الميكروباص لنجدة طفل صدمته سيارة، حينها استغل المتوفى الزحام وسرق الموبايل.

حسن : وانت إيه اللي ركبك ميكروباص؟

د/محمد صبري: العربية عطلت، ركنتها ومشيت شوية، اكتشفت إن في فكة في جيب البدلة، ركبت ميكروباص.

حسن : كده يا ابو صبرى تخضنا عليك؟

د/ محمد صبري : معلش ياسيدي إنت بقى مش هتظمني عليك؟

حسن : ما انا قدامك أهوه!

خالد : قصده تتجوز ياخفيف.

حسن : ربنا يسهل، لما نلاقى بنت الحلال.

خالد : وماها إنجي؟

انصرف خالد وناجي بعد أن حكيا عن إنجي كثيرًا، وأثنى خالد عليها بالغ الثناء.

خالد : سبحان الله يا أخي الموقف ده غريب!

ناجي : سيبك من اللي حصل، أنا اكتشفت حاجة أغرب في الشقة.

خالد مستنكرًا : خير، لقيت واحدة يعني؟

ناجي : ياريت، إنا عرفت حسن جه معانا القهوة، ورفض نروحله البيت ليه؟!

خالد : يا شيخ، وايه بقى السر الواو ده؟

ناجي : لقيت ناس تانيين!

خالد مبتسمًا : مأجرها مفروش!

ناجي : لقيت رزم ورق ماليه المكان.

خالد : إنجز إيه الغريب في كده؟

ناجي : مكتوب عليها محضر جلسة، كل رزمة مكتوب عليها محضر جلسة!

خالد بانزعاج : محضر جلسة، مشترك في تنظيم سري؟

ناجي : ياريت ياريسانا صورة المحاضر دي في المكتبة اللي تحت بيته، وأنا راجع أحطهم مكانهم قابلت أبوه.

خالد : هي فين؟ إقراها كده.

ناجي : أنا صورت نسختين، بس دول كتير ما ينفعش على الواقف.

خالد: ورييني كده: محضر جلسة (آلة الزمن)، محضر جلسة (الوقت- أينشتاين)، محضر جلسة (الحرب - المنويين- مستقبل الدنيويين)، محضر جلسة (النهر البشري - التعاقب والتزامن)، محضر جلسة (العمر - تصنيف)، محضر جلسة (الحدث - ثبات وتحرك)، محضر جلسة (قانون النتائج - تطبيقات)، محضر جلسة (دوري التاريخ)، محضر جلسة (خلاف سمير وهند- التصنيف الزمني للبشرية Rn) محضر جلسة (دورة الأحداث)، محضر جلسة (قانون السعادة الزوجية)، محضر جلسة (الشفرة الحديثة)، محضر.. ناجي مقاطعًا : عناوين كتير، عايزه قعده مش على المشي.

خالد : استنى أما نقرأ.. "إنه في النقطة صفر من الوقت، وخارج إطار قوانين الزمن، وبالانفصال عن قوانين المكان التقى كلُّ من:

السيد/ سمير ناجي سمير العناني.. ممثلًا عن الحياة المنوية.

السيد / حافظ خالد حافظ ..ممثلاً عن عالم الأجنة.

السيد / حسن محمد صبري..ممثلاً عن الحياة الدنيا.

بالجلسة المنعقدة في نقطة التماس البشري .....متجردين من أي انتماءات عنصرية أو ضغائن لإرساء سبل التواصل والتبادل العلمي والمعرفي، متفقين على إعلاء المصلحة العامة للبشر دون المساس بحقوق أي عالم، ولكل السيادة التامة على أرضه.

وقد دارت نقاشات، وخلصت الجلسة إلى ملاحظات ونتائج، يقوم كل عضو بترجمتها إلى أهل عالمه، وقام السيد / حسن محمد صبري، بترجمتها إلى أهل الدنيا كالتالي:

خالد : الموضوع شكله بجد، عايزين قعده فعلاً.

ناجي : موضوع إيه؟

خالد: جنانه.

ناجي : أنا فكرتك صدقته.

ركنا إلى كافيهِ قريب من منزل حسن، وبانزعاج بالغ كانت قراءتهما سريعة لملاحقة الأفكار وكثرة المحاضر، يريدون أن ينجزاها حتى يبلغا نهاية جنون صاحبهما كي يقفا على آخر المستجدات في حالته، وبتركيز شديد، حاولا أن يدخلوا في عمق الأفكار؛ فالفكر بحر أمواجه عالية، من لا يستطيع مجابهته يتنه ويغرق، تحتبس أنفاس عقله؛ فلا يوجد شاطئ آخر لهذا البحر، مهما بلغت من العقل، واستدعيت التركيز، فلا قبل لنا نحن البشر بالنهاية، استعانا ببعض الرشفات من البن كقارب تركيز بعد هذا اليوم الطويل وما فيه من عناء ومفاجآت، بدأ خالد بالقراءة.

”محضر جلسة (الوقت- أينشتين) وبعد الديباجة المعتادة.. أيها السادة أشكر لكم الحضور، وتلبية الدعوة، وأيضاً إعطائي الكلمة، نجتمع اليوم لتواصل ويستفيد كل منا من الآخر، متبادلين المعرفة أو حتى آليات الابتكار لأمر جديد قد تنعكس علينا جميعاً بالإيجاب، ودعوني أطرح عليكم ملاحظة قد نمت إلى عقلي في الآونة الأخيرة في بحث كنت أجريه على علاقة الزمن بالوقت، حينها اكتشفت مقولة لرجل مهم مر عندنا يدعى أينشتين «الزمن بعد رابع للكان وليس منفصل عنه» فعلاً أيها السادة..

فلو نظرنا إلى هذا الكيلومتر من الأرض فسنجد له نفس الطول والعرض، ولكنه عام ١٥٠٠ دنيوياً كان قصر مثلاً، وعام ٢٠٠٠ دنيوياً أصبح كوبري علوي، ولو فتحتم صفحة هذا العام، وصفحة هذا العام، ستجدون صدق ما أقول أيها السادة، فعلاً نفس الطول

والعرض، ولكن الكيلومتر اختلف باختلاف الزمن، كان لهذه المقولة أثر مهم في إنهاء مائتي عام دنيوية اتبع فيها الناس مقولة «الزمان والمكان منفصلان» وتلك كانت لرجل مهم أيضاً مر عندنا يُدعى نيوتن، قام أينشتين بتعديل ذلك، وقال: إن الزمان بُعد رابع للمكان، وقال أيضاً: لو انطلق أحد توأمين من الأرض إلى أبعد نقطة في الفضاء، فإن ساعته ستعد عشر دقائق، وعند الواقف على الأرض ستعد ساعتين مثلاً، كانت تلك هي النقطة التي بدأت أعتزض فيها على المقال، فالوقت لا ينكمش ولا يتمدد أيها السادة، فالوقت ثابت لا يتغير، والدقيقة هي الدقيقة قديماً او حديثاً.. شرقاً أو غرباً، دنيوياً، أو جنينياً أو منوياً، أو ربما برزخياً، هي على أية حال ٦٠ ثانية، وأن ما يتغير هو الحدث، الحدث هو ما يميز المكان والوقت، ومن هنا بدأت أفضل بين الوقت والزمن، بدأت أعقد فلسفة جديدة لأتحرك بها في بحثي، اتفقت مع السيد أينشتين في أن الزمان بُعد رابع للمكان، ومن المؤلف عندنا بأن المتر هو وحدة قياس المكان، وأن الدقيقة هي وحدة قياس الوقت، ولكن استُحدثت وحدة جديدة للزمن، ألا وهي الحدث، فالزمان والمكان والوقت وحدات مختلفة عن بعض، وبالتالي فالثلاث وحدات مختلفة عن بعض: الدقيقة، والمتر أشياء ثابتة، والمتغير هو الحدث، فهو ما يميز كلاهما، وليس العكس، فقد تمر عشر سنين دنيوية دون أحداث، ويمر عام دنيوي مليء بالأحداث، هنا نوعان من التقييم، وقتياً العشرة أعوام أكبر من العام، حديثاً العام أكبر من العشرة أعوام.. وأيضاً المكان ثابت، والحدث هو المتغير، ولتقريب ذلك

إلى أهل الدنيا، سنقول بأنه لو سافر رجل من القاهرة إلى مكة في العام ١٠٠٠ دنيوياً لقطع المسافة في ٣٠ يوماً دنيوياً، ولو قطع نفس المسافة في عام ٢٠٠٠ دنيوياً لاستغرق ثلاث ساعات دنيوية، المسافة ثابتة، والمكان لم يصبح أقصر ولا الوقت انكمش، ولا حتى الفرق في التطور، وإنما الحدث هو ما تغير، وهو ما صبغ المكان والوقت، فالذي كان يتم في ٣٠ يوماً أصبح يتم في ثلاث ساعات دنيوية.

أيضاً لو سألت أحد المصريين ماذا حدث يوم ١٩٥٢/٧/٢٣ دنيوية سيعرف، ولكن لو سألته عن يوم ١٩١١ / ٧ / ٢٣ دنيوية، فلن يعرف، وعموماً لو سألت أي إنسان عن يوم ما في حياته فيه حدث، أو عن مكان ما فيه حدث سيتذكر، ولكن عن نفس اليوم أو عن نفس المكان في عام سابق أو لاحق للحدث فلن يعرف؛ لأنه بدون أحداث الوقت والمكان لوحتان بيضاوان، فراغ لا يمكن عنونته، وتدليلاً على أن الوقت ثابت والمتغير هو الحدث، فالوقت طويل عندما نحزن، قصير حينما نفرح، بطيء عندما ننتظر، سريع عندما نخاف، على الرغم من أنها نفس الدقائق، وهو نفس المكان، الاختلاف في المذاق، في الصبغة، فليس الباب الأبيض كالأسود، ولا الجدار الأزرق كالأصفر على الرغم من أنه نفس الجدار أو نفس الباب.

وفي النهاية، أتوجه إليكم بالشكر أيها السادة، وأعتذر على الإطالة، ولكن كما تعلمون، أنتم علينا للاحقون، ولابد من إطلاعكم على آخر ما توصلنا إليه لتبادل المعرفة، واعذروني إن كانت تلك الأبحاث

متخلفة بالنسبة لمعرفتكم وزمانكم.

أترك الكلمة لأخي حافظ حافظ، فليفضل بإلقاء كلمته».

تحدث السيد حافظ، وطرح موضوع جلسة سابقة، كان توصل فيها لإضافة ولم يتطرق إلى موضوع الوقت والزمن إلا بإبداء اتفاقه على ذلك.

بدأ السيد سمير العناني بإلقاء كلمته بالترحيب بالجميع، والثناء على مثل هذه الاجتماعات التي تدعم وأصر الثقة بين العصور.

”تأسيسًا على مبدأ أن المنويين هم مستقبل الدنيويين، وهو أحد مبادئ ميثاق التماس البشري، وعلى قانون النتائج الذي كان له دور بالغ في عقد هذه الجلسات، وإن تكلمت من منطلق زمن الدنيوي، فأنا أقول لأخي حسن إن هذا الكلام فعلاً ظهر فترة في الدنيا، ونال تأييدًا، ولكن أتى عالم آخر، وربط الحدث بالدقيقة في علاقة متحركة بين الوقت والزمن، وألغى نظرية الثبات الوقي، بل وأتى عالم آخر وألغى فكرة الثبات المكاني. لن أسخر من جهلك؛ فهذه هي معرفة زمانك، ولا ضير أنك اجتهدت، وما خلصت إليه كان أساسًا لمن أتى من بعدك، ولكن ليست نتاج ١٥٠٠ دنيوية (R1٥٠٠) كنتاج ٢٠٠٠ دنيويه (R٢٠٠٠) ولا كليهما كنتاج ٢٥٠٠ دنيوية (R٢٥٠٠) فأنا أنظر إلى ما جئت تبهرننا به، كنظرتك إلى الرجل الذي جاء يهرك بالجمل كوسيلة متقدمة للنقل وأنت على سلم الطائرة، عذراً هذه ليست سخرية، وإنما للوقوف على الواقع، أما إن تحدثت من

منطلق منويتى، فأنا أبدي انبهاري بهذا الأمر الذي قد يكون له دور بالغ في تطور العلوم وإن بدا الأمر لديك بملاحظة، فهو يومًا ما قانون نافع، وأشد على يديك.

استمرت الجلسة حتى انتهى الجميع من عرض ما لديه من أوراق واستخلاص مبادئ عامة ونتائج، سيتم ضم بعضها مع نتائج الجلسة السابقة ( العمر )

قام بالترجمة

الدينوي / حسن محمد صبري

كان ناجي قد انتهى من شرب كوب قهوة دوبل.

خالد: أنا صدعت. دي كلمة، ولا محضر جلسه، ولا لغز؟

ناجي: ده اسمه كلام مجانيين؟

خالد: هات سيجارة.

ناجي: إنت مابتشربش!

خالد: مش أحسن ما اتجنن؟

ناجي: الواد حالته اتدهورت.

خالد: اطلب لنا قهوة، وإقرالنا محضر العمر كده.

ناجي: في ورقه مكتوب فيها العمر وواحدة تانية فيها ملخص

محضري العمر والوقت.

خالد: قول بتاعه الملخص كده.

” ما سبق من محاضر وجلسات، أمكنني ترجمة بعض هذه النتائج،  
وتجميعها معاً لأهل الدنيا:

- مقياس الأحداث أدق من مقياس السنين، وربما ينعكس هذا  
على علم الإدارة.

- الحدث وحدة الزمن، والمتر وحدة المكان، والدقيقة وحدة  
الوقت.

- الثلاث وحدات مختلفة، ولها تأثير على بعض.

- الوقت والمكان ثابتان، والزمن هو المميز لهما وليس العكس.

- الزمن بعد رابع للمكان، ولكن في فراغ الوقت.

- وقد يكون لذلك انعكاسات وتطبيقات على قوانين الرياضة،  
وما يتبعها من علوم كالفيزياء والفضاء.

- الوقت ثابت قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، منوياً  
ودنيوياً وبرزخياً وجنوبياً، وإنما المختلف هو عدد الأحداث التي  
تحمله الدقيقة باختلاف الطور وباختلاف العصور، وهذا قد يفسر  
اختلاف تقدير الوقت بين الأطوار، فاليوم الجيني بحوالي ثلث  
ساعة دنيوية، أو ربما يفسر تناقص أعمار البشر كلما تقدم الزمن،  
فإن تسافر في شهر أو نفس السفر تقطعه في ساعة، هو في النهاية  
حدث، وألف عام قديماً كستين عاماً حديثاً إن كانت تحمل نفس  
العدد من الأحداث، وهذا أيضاً يفسر أموراً أخرى كثيرة.

- الدهر قد يكون عمر الزمان في كل الأطوار مجتمعة، وهو مقدار المائة نقطة على خط الرحلة البشرية منذ خلق الله آدم -عليه السلام- حتى البعث في الآخرة إن شاء الله.

- اليوم البشري الدنيوي ليس يوماً واحداً، وإنما هو مساوٍ لعدد البشر في هذه النقطة من الوقت، فكل منهم يعيش يومه بطريقته وبأحداثه الخاصة، فهو مثلاً الآن ٧مليار يوم.

- ومن خلال التعريف الجديد للزمن، يتم تصنيف العمر إلى:

ا- عمر وقتي، ويقدر بالسنين.

ب- عمر زمني، ويقدر بالأحداث.

ويتم تصنيف العمر الزمني إلى:

- زمني إدراكي، وهو قدر استفادة الإنسان من خبراته وأحداث الآخرين.

- زمني معرفي علمي، وهو قدر الاستفادة من التجربة والبحث العلمي.

- زمني معرفي تاريخي، وهو قدر الاستفادة من تجارب السابقين.

- زمني نفعي، وهو قدر ما يضيفه الإنسان لنفسه ولل البشرية من إنتاج في أي مجال على ما سبق من أنواع العمر.

فالمرة لا يستطيع أن يطيل أوقات حياته طولاً أو عرضاً، وإنما يستطيع أن يعيش أكثر من خلال زيادة الأحداث إدراكاً وعمقاً، فالمرابي الأول، والمعلم للإنسان هو أحداث الزمن، كلما كانت مؤلمة وأكثر عمقاً، كانت الشخصية ناضجة وأكثر نفعاً.

بعد قراءة تلك المحاضر التي كانت أكثر ثقلاً من أحداث اليوم الغريب المليء بالمفاجآت، انفض ناجي وخالد، وكل منهما لديه نسخه من المحاضر، لم يودعا بعض، وكأنهما أمام منعطف جديد في حياة حسن، بل في حياتهما، هو يتحدث مع أناس من عوالم أخرى فعلاً! هل أصابه الجنون، أم مس من الجن؟ أم إنه سُحر؟ هل هذا اختراق لدوائر الزمن؟ هل هو عبقرى وهم لا يشعرون؟!

أسئلة باتت تفرض نفسها عليهما بعد الحالة التي وصل إليها حسن، خاصة بعد أن أثار ناجي نقطة «شكله زهق منا فقال يتعامل مع عيالنا» ألصقت بهم تلك الكلمات تهمة التقصير في حق حسن، بل هيجت عليهما ضميرهما، شعورهما بالذنب بدأ يحملهما المسؤولية نحو استعادته، ولكن فعلاً السينما تصور العباقرة بهذه الصورة، بل يحكى أن عالماً من كثرة تكذيب أهل قريته له رحل عنهم هناك في كهف بجوار القرية، لا يصحبه إلا كلبه، ومات وحيداً في كهفه لم يشعر به أحد، حتى إن الكلب بدأ يحمل كتبه إلى أهل القرية ليخبرهم، وفعلاً استغرب أهل القرية من زهد العالم في كتبه، فذهبوا للكهف، فوجده قد غادر الدنيا، ولم يبقَ من كتبه إلا ما نقله الكلب؛ ليخبرهم، حينها دفعهم الشعور بالذنب إلى قراءة

كتبه، فتحولت إلى مسلمات يعتقدون فيها بعد موته، بل وصارت قوانين تحكم حياتهم وهو ليس بينهم، ما كان ملفوظاً بالأمس أصبح اليوم قانوناً.

قال الناس: «تعلمنا منه ما تبقى في فم الكلب» فقد أخذت الرياح معظم علمه، وربما أن هذه القصة متكررة، فهي فعلاً حدثت مع نور، والآن تدور مع حسن، لا يعتقد الناس في الهذيان إلا بعد رحيل صاحبه، يصبح الهذيان قانوناً مألوفاً وقد رحل صاحبه غريباً على سريريه، وقبل النوم فتح خالد محضراً يحمل عنوان: (الحرب.... المنويين مستقبل الدينويين).

” بعد الديباجة المعتادة.. أشكركم أيها السادة على منحي الكلمة.

دعوني أقترح عليكم رأيي؛ حيث إننا أبناء النهر البشري، ونحن رفاق الممر، ولنا نفس الصفات والجينات البشرية، والمنويون هم مستقبل الدينويين، هم من يحلون على الدنيا بعد يوم أو بعد مائة عام دنيوية، فما نحمل إلا الأبناء والأحفاد، ولنا جميعاً جينات مشتركة وأمراض مشتركة، وبالتالي علينا نحن في الدنيا أن نحلها، فتصلوا وقد عثرتم على الحل، فتعيشون حياة أفضل، ولا نملك نحن في الدنيا إلا أن نجري تجارب على الممر الحيواني الذي هو بعيد جينياً عنا نحن البشرين ونتأججه ضئيلة، وتحتاج نفقات كثيرة ووقتاً طويلاً، فما كان مرورنا من بعض إلا لعبرة، ودعمنا للتواصل العلمي في ممرنا وتحسين المعرفة البشرية، فأنا أتقدم عن أهل الدنيا بمقترح إجراء الأبحاث في ممرنا، فنحن أولى ببعض وأوجاعنا واحدة، أقترح

أن نجريه هناك في عالم المنويين، أو لتكن أرض المنويين هي واحة العلم والمعرفة في النهر البشري، فنحن متشابهون، وهذا قد يحرز نتائج أفضل وفي وقت أقل وبتكاليف ضئيلة، وعددهم أصلاً كبيراً.»

هنا اعترض السيد سمير العناني بلهجة حادة قبل أن يكمل حسن كلمته ويستأنف مقترحه:

« هذا بمثابة إعلان حرب علينا، والرد سيكون قاسياً يا سيد حسن.»

حسن : اهدأ. لم نرد بكم شرّاً، وإنما هذا للنفع العام، فأنتم من سيستفيد أكثر منا بهذه النتائج، فأنتم المستقبل!

سمير : وما يدريك؟! لعل لعالمنا أمراضه الخاصة المختلفة عن أمراضكم.

حسن : كلانا يتأثر ببعض، فعندما يُصاب الدنيوي بالتهاب، ألا تغرقون في بحر من الصديد ويهلك منكم الكثير؟ بل هل عندما يعم عندكم فيضان ألا يُسمى هذا عندنا كَيْسًا مائيًا على الخصية، وقد يعرض الدنيوي للالتهاب والمرضوبما يستدعي العلاج؟ كلانا يتأثر يا سيد سمير، فنحن في مركب واحدة غير منفصلين.

سمير : نعم مشاكلنا واحدة، ولكن لكل منوي روحه الخاصة به، ولا أسمح بالعبث بأي منوي، أو بأرض المنويين.

حسن : نحترم ونقر سيادتكم على عالمكم يا سيد سمير، ولكن نريد

المساعدة في تطوير البحث العلمي وخفض ميزانيته وإحراز نتائج أسرع وأفضل، ولا أستطيع أن أطلب ذلك من السيد حافظ، فأعدادهم أصلاً قليلة.

سمير : لنحنني جميعاً للمصلحة العامة، ولكن لا أعدك بشيء، فقط سأحاول تدبير الأمر.

حسن : لا تشغل بالك. فقط اتركنا نتصرف.

سمير بحدة : قد تكون لكم القدرة والإمكانية أيضاً على العبث بعلمنا الآن، ولكن كما قلت: المنويون مستقبل الدنيويين، فإن عبثتم بنا وبأرضنا ونحن منويون، نبشنا قبوركم ونحن دنيويون، فلا وفاء لكم عندنا آنذاك.

حسن : لا لا، لا يزيد الحرب، نحترم رغباتكم.

حافظ : أيها السادة، اجتمعنا لنقر مبدأ كل على عالمه، ونرسي دعائم الصداقة والتواصل، ليس لأجل الشجار أو الحرب، إنما الالتزام أو سأرفع الجلسة بلا عودة.

حسن:فليكن الالتزام.

سمير: عمومًا يا سيد حسن، سأعرض الأمر على المنويين، وليكن اختياري عملاً تطوعيًا في بادئ الأمر، ما دام الهدف نفع البشرية.  
حسن: أشكرك يا سيد سمير على تفهمك الموقف.

سمير : آه قبل ما انسى يا حسن، ابقى قول لناجي بيه يبطل سجائر ومخدرات عشان اتخنقنا، والعيال صدرها تعبان، أرجو حذف

ذلك من المحضر الرسمي للجلسة يا سيد حافظ .  
حسن :تمام يا سمير بيه إن شاء الله هابلغه .

حافظ : فلنرفع الجلسة عند هذه النقطة من الاتزان؛ خشية الانزلاق  
في أي مهارات أخرى، وليقر كل منكم ما تم الاتفاق عليه ويترجمه  
لعالمه، مع احترام الجميع . رفعت الجلسة

كان حسن قد انشغل بتعريف الحدث لفترة، بعدها وصل إلى  
أنه : «فعل ما ناتج عن تفاعل فكرة ما في مكان ما، في وقت ما،  
بظروف معينة» . ومن ثم صاغ هذا القانون لنفسه كي يساعده في  
تصور وتحليل الأحداث .

الحدث = الوقت X الفكرة X المكان X الظروف .

Event = Time X Place X Idea X Circumstances

أي أكل فلان، غرس فلان، قامت الحرب الفلانية، كل هذا يطلق  
عليه حدث؛ وبالتالي ينطبق عليه القانون لتحليله أو لتصوره إن  
كنا نخطط له، ودفعه الأمر إلى اعتبار النتائج التي تحدث في أي فترة  
زمنية هي عبارة عن تفاعل الناس مع الأحداث؛ ومن ثم صاغ قانوناً  
آخر للنتائج، وهو أيضاً يساعد في تحليل النتائج القديمة وفهمها  
بشكل صحيح، وأيضاً تحسين النتائج المرجوة إذا كنا نخطط لها، وهو  
كالتالي: النتائج = الأحداث X الناس .

Results = Events X people

أمر أرهقه كثيرًا، حتى استخرج تلك القوانين كي يمسك أمورًا هلامية أو نظرية ويحولها إلى شيء مادي يخضع لقانون، كانت تلك القوانين هادية ومرشدة له في تصور أحداث ونتائج معينة في زمن لاحق من خلال التحكم في مفردات القانون، أو بالأحرى التحكم في أفكاره، وأيضًا في زمن سابق من خلال التدقيق في مكونات القانون، أو في طور حالي أو سابق، أو ربما طور قادم، أدرك بهذا أنه لا توجد آلة زمن في الطور الواحد، فقانون النتائج قد حسم هذا الأمر، فلا نستطيع أن نعيش عصرًا سابقًا؛ لأنه بكل بساطة لا نستطيع أن نستحضر عصرًا ما بنتائج؛ لأن ناسه قد رحلوا عن دنيانا، وأيضًا الظروف والأفكار المسيطرة عليهم وقتها، بل وأحداث هذا العصر، كل هؤلاء رحلوا؛ ومن ثم، فإن تجسيد أو تشخيص هذه النتائج هو الأقرب لعنونة وفهم تلك الحقبة.

بل الممكن تطبيقه هو آلة زمن بين الأتوار، فالمنويون، والأجنة، والدنيويون، والبرزخيون موجودون معًا في نفس النقطة من الوقت، ولكن كلٌّ في داره، كلٌّ في عالمه، ودل على ذلك اختلاف اليوم الجنيني عن اليوم الدنيوي، وكذلك عن اليوم البرزخي، على الرغم من أنهم في نفس الوقت والزمن، وضرب مثلًا بعبد الرحمن أحمد حسن صبري، فعبد الرحمن منوي الآن مثلًا، وأحمد جنيني، وحسن دنيوي، وصبري برزخي، كلهم موجودون في نفس النقطة من الوقت، وقد يكونون يأكلون جميعًا في نفس الثانية، ولكن كل واحد في دائرته، فالأب والابن والحفيد والجد ممر بشري خاص، وكلهم معًا موجودون، ولكن لا اتصال بينهم، وسيلة الاتصال هي آلة الزمن!

دفع ذلك حسن إلى تكوين جلسات نقطة التماس البشري كفكرة أولية لآلة الزمن، مستجدياً رفاقاً من عوالم أخرى، ما دام أهل الدنيا اتهموه بالجنون، ولا أحد يساعده في بحثه، لم يكن عائباً عليهم، فلكل منهم أمر يبحث عنه، وحسن لا يبحث إلا عن نور الحسيني، كانت حاجته إليها بالغة، ولا دليل على ذلك خير من أنه ذهب ينقب عنها في عوالم أخرى، يتسول المعرفة، يستجدي من العلم ما يمكنه من الوصول إليها، يتخذ رفاقاً لا يعرفهم، يخوض معهم رحلات غير معلومة وبلا هدف، يسير فقط لأجل أمل ضعيف، فقد يلقاها في النهاية، أو ربما يستمتع بالتفكير فيها ومرافقة طيفها، أو حتى كي لا يتهم نفسه بالتقصير في حبها، على أية حال، هو إخلاص منقطع النظير في عالم العشاق، عشقه صار حاجة ضرورية لديه، والحاجة أصل الاختراع، نور لم تكن أنثى، بل كانت معلمة، ملهمة، فالنساء إما أن تدفع للإبداع أو إلى الهلاك، هي من تشكل فتاها وتضبط بوصلة هدفه، إما إلى واحة النفع أو إلى مغارة الخراب، هي من تتحكم في حياته فعلياً، لا هو من يقودها، فالرجال قد تعمل بإمرة النساء، وإن أمرهن على جيوش حياتهم، فالأنثى إما نعمة وإما نقمة.

رحله طويلة من العصر الذهني والبحث عن أي معلومة قد تمكنه من التواصل مع الراحلة، رحلة مثيرة بوفاء نادر، وكأن إخلاصه لها لم يولد إلا بفراقها، أدرك أنه أدمنها حينما ضاعت، ربما كانت النور الذي ساقه لاستخلاص كل هذه الأفكار، فلربما عشق يخلف أفكارًا، وآخر يورث إذلالًا، عشق يترك أشعارًا وآخر يوجب ثناءً، وكلهم في حي الهوى عشاق.

لم يكن قانون النتائج هباءً، فقد كان الحائل دون نشوب شجار على خلفية سخرية سمير العناني من جهل حسن صبري.

سمير : يا أخي بلاش جهل بقى، ده انتوا بتستخدموا المضاد الحيوي في علاج البكتريا!

وقبل أن يغضب حسن، فتلك معلومة ثابتة لدينا الآن ولا جدال ولا شك فيها، أدرك أن سميرًا قد يكون على بعد مائة سنة دنيوية من الآن في الدنيا، وقد يكون لديهم علاجات وأبحاث متطورة، بل قد تُتهم أبحاثنا بالتخلف فعلاً، كما نسخر نحن الآن ممن كان يعالج قديمًا التهاب العين بالزيت ولا يستخدم المضاد الحيوي، حينها كنا منويين، وكانوا دنيويين، وكان لديهم اقتناع راسخ في أن الزيت يعالج التهاب العين، ولربما لو كانت هناك جلسة منعقدة معهم لسخرنا منهم كما سخر سمير من حالنا.

استفز ناجي أن أول تطبيق مكتوب على قانون النتائج: « تحسين الدراما والتاريخ؛ حيث يمكن التصور بشكل صحيح بناء على قانون،

ولا يتم الأمر ارتجالاً، وإعلاء المسؤولية نحو القادمين، ومن ثم لا تصدر لمن خلفنا هراءاً.

اكتفى بالقراءة في هذه النقطة، وعلق: «احنا هنقرف نفسنا بالتفكير عشان شوية مسلسلات»؟

وفي محضر (التعاقب والتزامن) قرأ: «تشابكت أحداثنا؛ لذا جئنا إلى الدنيا في فيضان بشري واحد فنحن.....» لم يستهوه المحضر، فألقاه وأمسك بآخر عن تطبيقات قانون النتائج، وعنوانه سؤالان: «ما هي النتائج المترتبة على إجراء سونار لزوجة أبي جهل؟ وعن إخباره بنوع الجنين قبل ميلاده؟ ماذا كان سيفعل سلطان من عهد المماليك لو كان الآن؟ وهل لو ذهب رجل عادي من هنا لهنالك هل كان سيعمل سلطاناً؟» ضحك ناجي، ولم يستأنف القراءة معلماً: «ماذا لو خرج رجل لأبو لهب في صحراء مكة في حر يوليو وأعطاه واحدة كاز مشبرة؟ أو لو في كولدير مية ساعة في نفس الصحراء بجوار أي كشك صخري؟» نوبة من الضحك الهيستيري دفعته إلى النوم، فسلطان النوم أعلى من سلطان الفضول في الرتبة.

في اليوم التالي كانت جلسة الإفطار المعتادة صامته تقريباً، قلة النوم وعناء أمس، والمفاجآت المتتالية كانت عائقاً عن الحوار، فلم يولد أصلاً، كل منهم يتحاور مع فكره، يشعر خالد أن كارثة تقترب من حسن، فقد خرج عن واقع الدنيا وتجاوز حدود المنطق، بات يخلق هناك عند اللاعقل، بل إن أمراً فاجعاً في انتظارهم أجمعين، فهو يخشى عليه، يلهث خلفه ولا يدرك خطواته، وناجي يريد أن

ينهي الإفطار سريعاً كي يتمكن من لف سيجارة من النوع عالي الجودة الذي حصل عليه من المورد وهو في طريقه للمستشفى، أجبرته المحاضر أن يدفع ضعف الثمن ليحصل على جودة تمكنه من التحليق معها، الصنف القديم لا يواكب سرعة المحاضر، وكانت ليلة أمس مخزية للصنف القديم، فقد تفوقت المحاضر، وهذا دفعه إلى أن يسب المورد، ويتهمه بأنه يغش الصنف وهو لا يريد أن يتعاطى حقاً، أما حسن فقد مر بليلة عاصفة من التفكير، ويريد أن يستكمل تدبره ويلتقط أنفاسه الفكرية، ومن حسن الحظ، أن اليوم ممتلئ بالعمليات، وهذا كفيلاً بأن يشغل معظم الأطباء وخاصة د/ شكري الذي تحمل كلماته الناعمة بداخلها قدرًا عاليًا من السموم والتأنيب الممزوج بمشاعر ود مزيفة، انصرف حسن إلى قسم النساء.

ناجي : قرئت حاجه امبارح؟

خالد متنهذاً : أنا ما غمتش .

ناجي ناخفاً : دماغى سخنت .

خالد : إمبارح أول مرة أشتري علبة سجائر في حياتي .

ناجي محتداً : تمويني خلص على أم المحاضر دي .

خالد : فهمت حاجه؟

ناجي : هو كلام كبير، كتير، بس مش فاهم هيوصل لإيه .

خالد : الموضوع بقى أبعد من التدوير على نور .

ناجي : أنا شوفت محضر مكتوب عليه : «خلاف سمير وهند...

جمهوريات الزمن» بس مالحقتش أقراه .

خالد : آه، هند خطيبة سمير العناني .

ناجي : وياه جمهوريات الزمن دي؟

خالد: بيشرح فلسفة التعاقب والتزامن ومين بيجي الأول؟ ومين بيجي الآخر؟ وفيضانات النهر البشري.

ناجي : يعني ماهاش علاقة بالسياسة؟

ابتمسم خالد : لا ده كلام فلسفة فارغ وتافه.

ناجي : وكانوا مختلفين ليه أصلاً؟

خالد : لإن هند اختلفت مع حسن في موضوع مطروح على الجلسة. حافظ مال لرأي حسن، وكانت متوقعة سمير يأيد رأيها، بس هوه أيد رأي حسن.

ناجي : بس إزاي يعمل الليلة دي كلها وما يعملش كرسي لنور؟

خالد: ما هند كانت واقفة لحسن على الواحدة عشان نور.

أشعل ناجي سيجارة : ليه؟

خالد : حسن كان اقترح حضورها، بس هتاخذ المقعد النسائي على المنصة .

هند ولعت : ليه؟

حافظ : هي أقدم وأولى بالاحترام.

سمير : طبعا .

هند : وأنا أحدث وأكثر علما .

سمير: احترمي نفسك، احنا هنكبر على أهالينا، ولا هي زميلتك  
قاعدة معاكي في الكوافير هتغيري منها؟

حسن: خلاص يا جماعة، ده كان مقترح، وأصلاً إحنا بعتنا دعوه، ولم  
يصلنا الرد أو حتى تم استقبال الإشارة أصلاً.

حافظ: نقفل النقطة دي لحين حضور الرد.

ناجي: حمش الواد سمير وأصيل.

خالد: صحيح بيقولك إنهم اتخنقوا منك وبطل سجاير.

في قسم النساء، انشغل الجميع فعلاً بالعمليات، وصياح النساء  
المتواصل في تدفق موجات الفيضان البشري في الدنيا، وكأن كل  
موجة تأتي بميعاد، كان حسن في المكتب منفرداً حين دخل د/ أحمد  
عماد، استشاري النساء، ذو الأربعين عامًا واللحية الخفيفة، يحظى  
باحترام الجميع، ذو نزعة متدينة على استحياء.

عماد: أهلاً حسن، قاعد لوحدك هنا ليه؟

حسن: قلت أخليني هنا عشان لو في حالات طوارئ.

عماد: بتغطي ضهرنا، إنت محترم يا حسن.

حسن: شكراً يا د/ عماد.

عماد: لا أنا ملاحظ إن حالك اتغير في الفترة الأخيرة.

حسن: أتمنى يكون للأفضل؟

عماد مبتسماً: للأسف للأفضل، أنا حتى ملاحظ إن ربنا هداك.

حسن: لله في خلقه شئون، كل يوم هو في شأن.

عماد: ونعم بالله، وكنت قاعد بتعمل إيه بقى؟

حسن: قصدك بافكر في إيه؟

عماد مبتسمًا: مش بقولك إنك ذكي.

حسن مبتسمًا: كنت باتدبر في حاجه لاحظتها.

عماد: خير؟

حسن: واحدة سألتني عن حمل الغزلان، بتقول إن في دكتور قالها  
بيجيب عيال حلوه؟

عماد: لا يا بني ده ال Heart man sigh

حسن: ما انا قلت كده وشرحت كان، التدبر مش في كذبة بيجيب  
عيال حلوه.

عماد: أو مال إيه؟

حسن: شهر العدة.

عماد: مالها؟

روى حسن موقف تلك الحامل التي التقى معها في الفرح، وعمما  
توصل إليه بأنه يمكن تعديل مدة الهارت مان ساين.

عماد: الله عليك، فعلاً القرآن معجزة لكل الأزمان.

حسن: المهم نفهم، العلم فقط يفسر.

عماد بعين تلمع: انصلح حالك بشكل عاجبني، إنت محتاج مجموعة  
تعينك وتعينها.

حسن بتجاهل : وأيضًا تشغلني قضية أخرى.

عماد : خير؟

حسن : هل الجنين يخضع لقوانين الجاذبية الأرضية أم لقوانين أخرى؟

عماد : أكيد يخضع لقوانين الجاذبية الأرضية، هو في غيرها أصلًا؟

حسن : لأ طبعًا مش يخضع لقوانين الجاذبية الأرضية؛ لأن القوانين دي بتقول الشيء الثقيل بينجذب للأرض، وده عكس اللي بيحصل إن الجنين بيتحرك في الرحم طول الحمل.

وبعدين لو هو يخضع لقوانين الجاذبية الأرضية كان زمانه بيتولد وجسمه الأثقل لتحت وراسه الأخف لفوق، على عكس اللي بيحصل إنه غالبًا بينزل براسه.

عماد : أومال يخضع لإيه؟

حسن : هناك الوسط مائي، وعلى الأرض الوسط هوائي، وده معناه إن في قوانين تانيه، زي مابتلاقي رواد الفضاء بيطيروا على المريخ.

عماد : وإيه القوانين دي ياسي نيوتن؟

حسن : قانون الجاذبية الأرضية إلى أسفل الأرض إلى مركز الأرض؟

عماد : تمام.

حسن : وأرض الأجنة اللي هي الرحم مركزها غالبًا عند المشيمة أو في المنتصف؛ ولذلك الجنين بيدور حواليه طول الحمل.

عماد : أرض الأجنه؟! الرحم؟!

نجح حسن، وبلع عماد الطعم، استدرجه بقضية حمل الغزلان، وتدرج معه حتى وصل إلى هذا السؤال، في لحظة صدق بدأ حسن يحكي عن فكرة الأطوار، وعن تلك الملاحظات التي اكتشفها، يعطيه نبذات لتسيير الحوار، يحاول أن يستفز فكره، ذا النزعة الدينية كي يحصل منه على أي معلومة قد تقربه عدة خطوات، قد تمده ببعض الوقود لمواصلة السير، حسن يرى عقله فريسة لا بد من السيطرة عليها، فهو ذكي، وذو علم ودين، لا يجب أن تضيع هذه الصدفة، لا بد أن تتبلور إلى مكاسب، يغازله بما توصل إليه، ليكون له مؤيد أو عقل مواز، خاصة أنه متخصص في الحقن المجهرية وأطفال الأنابيب، استأنفا حوار الجاذبية.

عماد : طب ما في أطفال بتيجي بالعرض وبنضطر نولدها قيصري؟

حسن : وده يؤكد فكرة مركز الرحم؛ لأن منتصف الجنين اللي هو نقطة اتزانه بيكون على تواصل دايمًا مع مركز الرحم عن طريق الحبل السري، سيان الجسم لفوق أو لتحت أو بالعرض، المهم إن نقطة الاتزان في النص.

عماد : أيوه بس احنا ما نعرفش غير قوانين الجاذبية الأرضية!

حسن : يعني هو يونس -عليه السلام- في بطن الحوت كان بيخضع لقوانين الجاذبية الأرضية؟

عماد : الله أعلم.

حسن : ممكن الرحم يكون له قوانين جاذبية خاصة وهو والجنين بيخضعوا لقوانين جاذبية الأرض، والأرض والرحم بيخضعوا لقوانين

جاذبية دائرة أخرى أكبر.

عماد : ما علينا، قوانين جاذبية الرحم هتفيدنا بإيه؟ ولا هو هري  
وفلسفة على الفاضي؟

حسن : كون إننا نفهم ده في حد ذاته فايده.

وعلى الأقل لو عرفنا قوانين جاذبية الرحم، ممكن نعرف نتحكم فيها  
ونقلل نسبة القيصرات عشان أوضاع الجنين الغير مناسبة للولادة  
الطبيعي .

عماد : بس ده فتي بدون وثائق.

حسن : أي نظريات إحنا ماشيين عليها دلوقتي كقوانين كان أولها  
فتي زي ما بتقول .

عماد : أصلاً مين قالك إن الجنين فيه روح؟

حسن : يعني بيتغذى ويتحرك ويتنفس أوتوماتيك ولا عياقه؟

اضطر عماد أن يطلب قهوة دوبل كي يجاري الأمر، ولكن حسن  
حاول أن يستأذن في الرحيل مختبراً درجة تركيز وفضول عماد.

عماد : رايج فين؟ اقعد كمل، أومال أنا طالب القهوة ليه؟

لمعت عينا حسن لمعة السبع حين يجhez على فريسته ويتأهب  
ليظفر بها وجلس.

عماد : فكرة الأراضي والأطوار بتاعتك دي مش منطقية أصلاً،  
وفكرة الموت والولادة مش مبلوعة.

حسن : ألم تقرأ قول الله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ مُمِيتَكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

صدق الله العظيم. (سورة البقرة الآية 28).

عماد: إيه اللي فيها دي يا عم زغلول؟

حسن: زغلول مين؟

عماد: زغلول النجار.

حسن مبتسمًا: الآية فيها خمسة أحداث، موتتين وحياتين وبعث.

عماد: البعث بعث الآخرة، الموت هو موت الدنيا، والحياة هي الحياة الدنيا.

حسن: على كلامك فاضل حدثين.

عماد: آه صحيح!

حسن: في الآية عدة إشارات.

أولًا: سؤال الله واستنكاره لجحود من يكفرون به، ويدل على إعجازه بهذه العملية.

ثانيًا: لفظ أحياكم ويحييكم.

ثالثًا: هذا يسوقنا إلى أن الموت والولادة وجهان لعملة واحدة، هما فقط مجرد بداية هنا ونهاية هناك، أو نهاية هنا وبداية هناك في نفس الوقت لنفس الحدث، ليسوا حدثين مختلفين أو أمرًا مطلقًا، وإنما هو بالنسبة للدار، فنقول مات فلان في الدنيا، وإنما هو ولد

هناك في البرزخ، أو مات فلان في عالم الأجنة، وإنما هو ولد في الدنيا؛ ومن ثم فإن الإشارة الواحدة تحمل أكثر من حدث، فبعث الآخرة يشير إلى موت البرزخ، وموت الدنيا يشير إلى ميلاد البرزخ؛ ولذلك فإن الإشارة الواحدة في الآية تعني حدثين، فالأرواح تنتقل من طور لآخر على حسب الأحداث ونهايتها، وعن لفظ أحياءم فهو يشير إلى البداية من النقطة صفر، من حياة قبلها عدم ولم يسبقها حياة، أما لفظ يحييكم فهي حياة من موت قبلها حياة؛ ولذا بهذا التدليل والإعجاز في الموت والحياة لا يصح لأحد أن يكفر بالله أو ينكر وجوده أو حتى ينكر البعث، وكأن حال الكافرين عجيب.

عماد : فعلاً بعد الكلام ده حالهم عجيب، فعلاً القرآن ما هو بكلام بشر، ولا هو سحر، ولا هو شعر.  
حسن : لنا هنا سؤال .

عماد : خير!

حسن : هل تنتقل الروح من طور لآخر عند نهاية أحداثها في الطور الحالي أم عند بداية أحداثها في الطور القادم؟  
عماد : الله أعلم.

حسن : وبعد تقسيم الأطوار بدأت أفهم لفظ «رب العالمين».

عماد : احتار العلماء في تفسيرها، منهم من قال الإنس والجن، ومنهم من أضاف لذلك الملائكة، ومنهم من قال إن هناك عوالم أخرى، لم يُحسم أحد الأمر.

حسن : الحقيقة إنه في أنفسنا ولكن لا نبصر.

بل إنني سجدت لله شكرًا حينما قرأت الرحمن الرحيم في سورة الفاتحة.

عماد : وفيها ايه دي كان؟ الله هو الرحمن ولا شك في ذلك.

حسن : يا دكتور، الإعجاز في تعقيب الصفة على كلمة رب العالمين، بل والتشديد عليها، وكأن الله يقول لنا لا تحزنوا من آلام المرور وضيق الممرات، لا تخافوا من الأذى في الرحلة أو التيه في الطريق؛ فأنا رب كل العالمين، أنا الرحمن الرحيم، وحين استأنفت الفهم في السورة.

عماد مقاطعًا: إنت تبع تيار إيه؟

حسن : أنا مش تبع تيارات!

عماد : بس الكلام ده مش من فراغ ولا صدفة!

حسن : ده مجرد تدبر.

عماد : يعني وصلته لوحده؟

حسن : توفيق من ربنا، مجرد تأملات وترتيب أفكار.

عماد : أو مجرد فلسفة فارغة وفتي وبدع.

حسن منزجًا : هذا مجرد اجتهاد يا دكتور عماد، والتفسير الحقيقي لا يعلمه إلا الله ورسوله.

عماد : أيكم يحدث قوماً بحديث لا يفقهونه فهو لهم فتنة.

حسن : وإيه بقى اللي حضرتك مش فاهمه؟ إحنا بس اللي مكسلين

نفكر، أو بمعنى أصح مش عايزين نفكر.  
عماد : لم تقل العرب مثل هذا من قبل!

حسن مبتسمًا لتخفيف حدة الحوار : هو إحنا في قسم النساء ولا  
في دار الندوة؟

ثم حسن ضاحكًا : ناقص تقولي هذا ما وجدنا عليه آباءنا.

عماد محتدًا : لا تأخذك العزة بالإثم وتكن من الأخسرين أعمالًا،  
ارجع من السكة دي بدل ما ينزل عليك غضب من ربنا، إنت  
ممكن تتسخط وانت بتتكلم، ممكن تنزل عليك لعنة ربنا.

حسن : ده مجرد نقاش وشوية ملاحظات يا د/عماد، هو حضرتك  
زعلت؟

عماد : نقاش ممكن يعمل فتنة.

حسن ممتعضًا: فتنة إيه؟!

عماد : فتنة في الدين.

حسن : سلعتنا ليست رخيصة، وهذا الكلام يؤكد إعجاز الله ويزيد  
الإيمان به، لا يحدث فتنة.

عماد : إنت مين عشان تقول كده؟

حسن محتدًا : أمرك غريب يا أخي، يعني لو واحد أجنبي فكر  
وطلع الملاحظات دي مش كنت هتسلم له وتقول : يا لعظمة القرآن!  
ده الكلام عندنا من ١٤٠٠ سنة، طب ما فهمتوش ليه؟ ولو قاله واحد

مننا يبقى مجنون واهبل ونقوله إنت مين؟! عشان احنا مش عايزين  
نصدق نفسنا وخايفين نفهم، ولأ هو زمار الحى لا يطر به، يابيه العلم  
هو الوسيلة الوحيدة لإدراك قدرة الله. فمتى غاب العلم غاب الإدراك.  
عماد : إنت إزاي تكلمني كده؟

حسن : أنا آسف إذا كنت تجاوزت أو زعلت حضرتك، أنا بس  
انفعلت من حالنا مع بعض.  
عماد : معلش يا حسن أنا عشان مجبك خايف عليك.

في قسم الأطفال لا يزال خالد وناجي في صدمة ما اكتشفاه، لا يزال  
الحوار مستمرًا، أوراق المحاضر تملأ حقيبة خالد.  
خالد : قرئت محضر ثبات الحدث؟  
ناجي : لأ. بيقول إيه؟

خالد : محضر جلسة.....ثبات الحدث (نظرية الشجرة والأدوار)  
بعد الديباجة المعتادة:.....

قد تكون الأحداث ثابتة، وإنما الروح هي المتحرك، وأن الأحداث  
قد تتكرر في كل طور، وأنه كلما تقدمت طورًا ترى نفس الأحداث  
ولكن بشكل أوسع، فالأحداث قد تكون واحدة، تمر الروح عليها في  
كل طور، كمن ينظر إلى شجرة من عمارة، وإن افترضنا أن الأحداث  
هي الشجرة، وأدوار العمارة هي الأطوار، فن ينظر من الدور الأرضي  
لديه تفاصيل أقل عن الشجرة ممن ينظر من الدور الخامس لنفس  
الشجرة ومن نفس المسافة؛ وبالتالي قد يرى الإنسان في الطور

المنوي الأحداث من الدور الأول، وفي الطور الجنيني يرى نفس الأحداث، نفس الشجرة من الدور الثاني، والدينيوي من الدور الثالث، والبرزخ بيراها من الدور الرابع؛ وبالتالي فإن كان الحدث ثابتًا كالشجرة فإن المتحرك هو الروح، والمختلف في كل دور عن الآخر هو اتساع دائرة الرؤية والإمكانيات، فقد يكون أبي وأنا وابني وحفيدي نرى نفس الحدث في نفس الوقت، ولكن أبي برزخي وأنا دنيوي وابني جنيني وحفيدي منوي، هي عملية صعود في الأدوار والأطوار، وكلنا موجودين ولا زلنا، تتكرر الأحداث هي في كل طور، ولكن بدائرة أوسع من الإدراك، وقد تكون الدنيا هي الدار الوحيدة التي يمتلك فيها الإنسان سلطة الاختيار الحر والتصرف، كي يقتنع بتصنيفه في النهاية، إما خير أو شرير، ولا يكون له حجة.

اتساع دائره الرؤية كالكاميرا التي تلتقط منظرًا ثابتًا من مسافة ثابتة، كلما ارتفعت الكاميرا دورًا، كانت تفاصيل المشهد أوضح وأشمل، أو ربما هناك كاميرات مثبتة على ممر الحياة، كاميرا منوية، وأخرى جنينية، وأخرى دنيوية، وأخرى برزخية، وضوء الكاميرا المثبتة مسلط أمامها على ممر الحياة، فأينما يصبك الضوء فهي دارك الآن ودائرة حياتك، فمن الناس من هو تحت ضوء الكاميرا المنوية فهو منوي، ومنهم من هو تحت ضوء الكاميرا الدنيوية فهو دنيوي، هذا في الطور المنوي وهذا في الطور الدنيوي، في حين أن الجميع يرون أفواجًا من النهر البشري أو ممر الحياة؛ وبالتالي إن تكن الكاميرات هي الأطوار فهي ثابتة والمتحرك بين الأطوار هو الروح».

خالد : فهمت حاجة؟

ناجي : ولا الدموع.

خالد : خلاص نسأله.

ناجي : ممكن يزعل إننا عرفنا من وراه.

خالد : لازم نفهم هو بيعمل إيه؟

كان حسن قد نجح في الهروب من الصدام مع د/عماد إلى رفيقيه، فكان الصمت ضيقاً حل معه على المكان.

حسن : خير يا رجاله ساكتين ليه؟

خالد : إيه موضوع المحاضر ده؟

حسن مبتسماً : انتوا عرفتوا؟

ناجي : إنت كنت قاصد؟

حسن وهو يهم ليتناول فنجان القهوة الخاص بخالد : كنت عارف إنك هتقابلهم، كنت هاقولكم بعد شوية بس الظروف حكمت.

خالد : والكلام ده من إمتي؟

حسن: في الأول كنت عايز أسجل داخل الرحم واشوف حياة الأجنة شكلها إيه؟! بيتكلموا؟! بيتواصلوا مع بعض ولا لا؟! قلت أحط كاميرا، اكتشفت إني مش هافهم حاجة والموضوع هيطول، جت فكرة شخصيات الكرتون بتاعة ناجي وقانون النتائج، قلت ليه لا؟

ناجي : أنا ماليش دعوة بالجنان ده؟

حسن : ما تخافش يا معلم إنت كنت بتتريق، أنا المسئول، أنا اللي طورت الفكرة.

خالد : إيه موضوع ثبات الحدث ده؟

حسن : إنت مش قرئت؟

خالد : قرئت بس مش مقتنع إن الحدث موجود قبل ما يحصل .

حسن : طب كيف عرف الخضر أن الغلام شقي أو أن الملك سيأخذ السفينة؟ والغيب لله وحده.

خالد : دي معجزات ربنا أطلعها عليها.

حسن : أطلعها عليها يعني زود رؤيته وإمكانياته، بلاش ياسيدي، كيف أنك ترى رؤيا أو تبشر ببشارة وتحدث كما رأيت؟

خالد : معنى كده إن الأحداث مقدره سلفا؟!

حسن : مش قضيتنا ما تشغلش بالك، بس افلح في اللي انت فيه الأول، وعمومًا ممكن الأحداث تكون بتدور في كل طور، والدنيا هي الدار الوحيدة اللي لك فيها سلطة الاختيار وحرية التصرف كي لا يكون لك حجة يوم العرض.

خالد : ده هري!

حسن : اللي بياكد الفكرة دي إنك بتشوف موقف أو شخص وتحس إنك شوفته قبل كده.

ناجي : دي ظاهرة واسمها الدي جا فو .

خالد : وكلامك بتاع الانتقال ده ليه علاقه بالتناسخ؟

حسن: لا، مختلف تمامًا، التناسخ إن الروح تخلص رحلتها في الدنيا، وحينما يموت الفرد تذهب إلى جسد آخر في الدنيا أيضًا، أما الانتقال، فالروح نسخة فريدة خاصة بكل إنسان ولا تتكرر ولا تنتقل إلى جسد غيره، هي تخوض الرحلة منذ البداية وحتى دار الخلود كروح واحدة تمر عبر أطوار، يتطور معها الجسد خلال الرحلة، ليست روحًا تنتقل من جسد لآخر في طور واحد، هي روح واحدة خاصة بكل إنسان، تنتقل ولا تتناسخ.

خالد: إيه تطور الجسد ده؟

حسن : أيوه الجسد بيتطور، وقد لا يكون الدنيوي هو الصورة النهائية للإنسان، زي ما المنوي ولا الجنين مش هما الصور النهائية.

خالد : يعني جسد واحد في كل الأطوار؟

حسن : ما هو الدنيوي كان الجسد الجنيني واططور، والجنيني كان الجسد المنوي والبويضة واططور، ماجوش صدفه يعني!

ناجي : بس التناسخ والانتقال شبه بعض برضه؟

حسن : يا ابني لا، التناسخ الروح لا تخرج من الطور، أما الانتقال فالروح تعبر الأطوار، التناسخ روح تنتقل من جسد لجسد، أما الانتقال فالروح تنتقل من طور لطور، تجربة خاصة بكل إنسان ولا تتكرر مع جسد آخر، ولو إن الأمر تناسخ، فإن عدد البشر

سيظل ثابت لأن الروح لا تخرج من الطور؛ وبالتالي فإن أعدادها ثابتة، وزيادة عدد البشر يلغي فكرة التناسخ ويؤكد زيادة قطر النهر البشري، وأيضًا زيادة الأفواج البشرية كلما تقدم الزمن.

وبسؤال خالد له عن النهر البشري وتفاصيل هذا الموضوع، تحدث حسن لفترة في شرح هذا الأمر، وأنه يضم الأطوار مع بعض في شكل مادي، وأن الناس قد تكون مجتمعة معًا قديمًا، بل إن الناس قد تكون مقسمة هناك لأحياء، فهناك حي للحكام، وحي آخر للفقراء، وآخر للعلماء، وآخر وآخر، وحين أوان الفيضان البشري الجديد تخرج كل منطقة دفعة من سكانها، وحين يتجمع كل المتخرجين في الميدان الزمني تكون تلك دفعة جديدة من المتزامنين في الدنيا، لكن هناك كانوا مجتمعين وشايفين بعض قبل المنوية، وكذلك ممكن أن يجتمعوا بعد الدنيا ويروا بعض، وإنما الأمر في الدنيا تعاقب وتزامن كي تقتنع الناس بالترتيب البشري والتصنيف الحداثي أصلًا.

ناجي : لا ياشيخ !

حسن : ومن عدل الله كي لا يقول إنسان إن ظروفه وإمكاناتي ومهنتي لم تمكنني من الإدراك، ساق الله في كل مهنة، ولكل ظروف نبي شهيد عليها ومعجزة لأهل هذا الحي.

خالد : إزاي؟

حسن : كي لا يحتج الملوك بأن السلطة غرتهم، كان سليمان -عليه السلام- نبيًا ملكًا، والوزراء لا حجة لهم بأن الملوك أجبرتهم؛ فقد كان يوسف -عليه السلام- نبيًا وزيرًا، وكي لا يتحجج المرضى بأن المرض وقف ضدّهم كان أيوب -عليه السلام- نبيًا أصابه المرض، وهكذا فإعجاز الله وعدله في كل الأمور لا يدركه عقل، مهما دققنا، فلن ندرك منتهى إعجازه.

أثارت نظرية التعاقب والتزامن فضول الرفاق، ومضى وقت يتناقشون فيها.

حسن : أنا عارف إنكم متضايقين وزهقانيين من الكلام ده.

ناجي : وبترغي ليه لما انت عارف؟

حسن : طب يا رجاله تقوم نشوف شغلنا بقى.

خالد : لا، كمل أنا عايز اسمع وقاعدلك يا بيه.

التهم ناجي الطعم بسهولة، ورد بعفوية الذي نفذ مخزون الصنف من دماغه، ولا يشغله إلا كيفية الحصول على سيجارة جديدة، وأحبط خالد حيلة الهرب التي رسمها حسن، ففضوله في معرفة ما آلت إليه الأمور يجعله في تركيز عالٍ وإن استعان ببعض رشقات البن.

خالد : إيه موضوع رفاق الدرب ده؟

ناجي مبتسمًا : أصحاب الغرز؟

خالد : بس يا كلب مش وقت زيطه، اتفضل يا حسن افندي.

حسن : الرفاق نوعان : رفاق درب ورفاق ممر. رفاق الممر وهم الأهل والأقارب متشابهين ومتشابهين جينياً وسلوكياً، وتعرفهم من بداية الرحلة، أما رفاق الدرب فهم متشابهين حديثاً، متشابهين مزاجياً، وتعرفهم في نهاية الرحلة الدنيوية.

ناجي : يعني إيه؟

خالد : هو مش عايز يفهمك، لو ليه مزاج تفهم كان قعد يرغي ويلف ويدور.

حسن : لا، عيب يا خالد، أنا حاسس بس إني مرهق شوية.

ناجي : من كتر التفكير. إرحم نفسك شوية.

خالد : تعبان يعني؟

حسن : حاسس نفسي ثقيل شوية.

خالد : تحب نعرضك على دكتور؟

حسن : لا، أنا هابقي كويس إن شاء الله، أنا بس محتاج أريح شوية.

خالد : خلاص روح السكن إفرد طولك شوية.

كان د/ شكري، و د/ عماد عند المدير يحتكان إليه في خلاف بينهما، دخلت دينا لتوقع بعض الأوراق الخاصة بصرف أدوية قسم الباطنة، وإذا بمصطفى النائب الجونيور بقسم النساء يدخل مهرولاً، أنفاسه سريعة من الجري:

- "حسن دخل الرعاية المركزة"

دينا تحبظ على صدرها : يا لهوي. يا حبيبي.

عماد مبتسماً : لعنة ربنا يا جدعان.

شكري واجماً : يا ساتر يارب.

د/ عوض، وقد قام من كرسيه وتحرك مع مصطفى متجهًا نحو

الرعاية: "إيه اللي حصل؟"

مصطفى : كان داخل القسم وقع، وديناه الرعاية وجيت أبلغكم.

د/ عوض : ربنا يستر ويشفيه.

وصلوا الرعاية، إنجي مهارة من البكاء الصامت الصادق، دموع

هيسيرية تفضح مشاعر مخلصه.

د/ عوض : خير إن شاء الله يا إنجي.

لم ترد إنجي إلا بمزيد من الدموع، دخل د/ عوض الرعاية، التقى

د/ أحمد الجويلي، إخصائي الرعاية المركزة، وبنظرة من د/ عوض

تسأل عن حالة حسن.

الجويلي : رجع علطول يا باشا، اطمن منتظرين بس يستعيد الوعي

الكامل، سحبتنا تحاليل كاملة ومنتظرين النتائج.

د/ عوض : طيب الحمد لله، ما تخليش حد يجهده، أنا هابص عليه

من بعيد، إبقى بلغني بالنتائج.

الجويلي : طبعًا يا فندم، حضرتك أستاذنا في الرعاية.

د/ عوض : شكراً يا جويلي، ده زميلك مش هوصيك عليه.

الجويلي : ده شغلي يا فندم، وحسن أخويا ودفعتي أصلاً.

خرج د/ عوض ومعه مصطفى، اصطدما بفتحية العاملة وهي تبكي إلى جوار إنجي.

فتحية : هو عامل إيه والنبي طمني يا باشا.

د/ عوض ناظرًا لإنجي : الحمد لله فايق وكويس، ما تزعليش يا إنجي.

ردت إنجي بتخفيف حدة دموعها، وكأن قلبها اطمأن بأنه ما زال على قيد الحياة، يشاركها نفس الهواء في نفس العالم، لم تكن تبالي من افتضاح أمرها للجميع وهي لا تربطها به بأي صورة رسمية، سوى ذاك العقد الذي أبرمه له قلبها من طرف واحد ولم يكثرث بموافقة الطرف الآخر، توجه المدير، ومعه مصطفى إلى قسم النساء، كي يستأنف تحكيمه في خلاف شكري وعماد، وما أن وصل حتى وجد جميع الأطباء تقرّبًا ملتفين حول عماد وهو يحكي نبذات مشوهة عن أفكار حسن وبدعه، وعن قصاص الله ولعنته التي نزلت على حسن من تجرؤه على الغيبيات، عماد ذو أسلوب مقنع وبراق، ساق الجميع ومعهم د/ عوض في اتجاه كفر حسن، أو على أقل تقدير جنونه، أقر الجميع بأن تلك فعلاً لعنة وغضب، فقد حكى عماد الأفكار مبتورة مكسورة.

د/ عوض : المهم عملت ايه مع شكري؟

عماد : سوينا الموضوع.

د/ عوض : طب الحمد لله، عين العقل.

عماد : مش مستاهله، حضرتك شايف الموضوع لحظة.

هناك في الرعاية كان الجويلي يتابع الحالة وتحسنها.

الجويلي : كان بيشتكي من حاجة؟

ناجي : لا مافيش، عمره ما اشتكى من حاجة مزمنة.

الجويلي : طب كان بياخد أدوية؟

ناجي : لا.

خالد : آه.

ناجي : إنت هتقوله؟

خالد : ده حسن، وبعدين الجويلي مش غريب علينا.

خالد بندم : أيوه كنا بنحطله جبوب للهلوسة في الشاي بعد الفطار.

الجويلي : من وراه؟

خالد : هو مش مقتنع إنه بيهلوس.

الجويلي : من نفسكم كده؟

خالد : د/شريف استشاري النفسية كان متابع حالته من خلالي،

هو ما يعرفش إنه حسن. شرحته الحالة فكتب لي العلاج.

الجويلي : والكلام ده من إمتي؟

خالد : بعد موت نور، ابتدى يقول كلام إحنا مش فاهمينه ولا

مقتنعين بيه، تقريباً ما كناش بنعرف نعيده تاني، قولنا ده بيهلوس

من الصدمة، خدناه على قد عقله، وعرضت الحالة على د/

شريف، بس وقفت العلاج من شهر.

الجويلي : وكان بيهلوس بيقول إيه؟

ناجي : كلام جديد وغريب.

بدأ خالد يسرد أجزاءً من كلام حسن، والجويلي منصت، وكما توقف خالد كان يطلب منه الاستمرار في السرد.

الجويلي : ده كلام ممكن يكون منطقي.

ناجي : انت هتتجنن زيه؟! عمرنا ما سمعنا عن كده.

الجويلي : وأدينا بنسمع يا سي ناجي، أنا لسه قاري بحث جديد عن مادة اسمها DMT بتفرز في المخ مباشرة قبل الوفاة، ومحدش عارف عنها حاجة لحد دلوقتي، واختلف فيها بتوع النفسية، وبتوع العصبية.

حضرت نتائج التحاليل، اطلع عليها الجويلي وبوجه عابس.

الجويلي : ده السكر في السما!

خالد : عمره ما اشتكى!

الجويلي : نسحب له هيموجلوبين سكري، ونشوف السكر عامل إيه في آخر شهرين.

ناجي : آه صح، بس ده ممكن يكون حالة مؤقتة مش سكري يا عم.

خالد : لا، ممكن تكون غيبوبة سكر، إنت ناسي صواني البسبوسة  
يا معلم؟

الجويلي : وارد، خرينا نشوف، إحنا هنقيس السكر تاني النهارده.

مكشوا جميعًا إلى جوار حسن يتبادلون أطراف الحديث أثناء  
نوبات فراغ الجويلي في نوبتيته، خرج حسن في اليوم التالي من  
الرعاية، وبدأ يتابع قياس السكر بجهاز اشتراه واستمر على علاج  
للسكر.

بعد يومين، استقر المدير في مكتبه بعد أن اطمأن على أحوال  
المستشفى، استدعى دينا في اجتماع خاص.

د/ عوض : إنتي مش قولتيلي إنك توبتي؟  
دينا : طبعًا يافندم.

د/ عوض : أومال إيه يالهوي دي؟  
دينا : ده مهما كان زميلنا.

د/ عوض : زميلنا ولا عشيقنا؟  
دينا : عيب يا دكتور.

د/ عوض : وانتي تعرفي العيب؟ اتلمي حسن مش بتاعك.  
دينا : وأنا عمري ما قلت كده.

د/ عوض : أومال نور اشتكت منك زمان ليه؟  
دينا : إنت اللي قولت كده عشان تنقلني؟

د/ عوض: وأنا عمري جيت عليكي، ما أنا رجعت في قرار النقل.

دينا: ده لما قعدت على رجلك وانت ارتعشت وعرقت، وكل خدمه كانت برعشه، كله بتمنه ولا إيه يا باشا؟

المدير: أنا ما أنكرتش إن دي كانت أحلى رعشات في حياتي وتوبتي واحترمت رغبتك، لكن ما دام فيه يالهوي يبقى أنا أولى.

المدير يهم أن يسكها بين يديه: وحشتيني، بينا على الأوضة فوق.  
دينا تلفظه محتدة: توبت يا بيه.

المدير: تاني هتقولي توبت! والخضة اللي شوفتها بعيني دي إيه؟  
دينا: قولتلك زميلنا.

المدير: طب يا أموره أنا هادخلك حبيب القلب سراية المجانين مش الرعاية عشان تعرفي تتوبي كويس وتتخضي عليه، والمدير هناك حبيبي.

دينا: حرام عليك، حسن مالوش ذنب في اللي بينا.  
المدير: وأنا بقول حاجة من عندي؟ الشهود كثير يا ماما.

وبلهجة حادة أنهى معها الحوار، معطيًا إيها فرصة تراجع نفسها حين لمس فيها خوفها على حسن....هو مستمر في إجراءاته، وإن شاءت عليها فقط أن تلحق به، نهرها، بل طردها من مكتبه تقريبًا، وبغضب اتصل بشكري مستدعيًا إيها إلى مكتبه.

لم يكن المدير قد صدق توبتها، هو فقط احترم رغبتها، فهو لا يريد لها جثة هامدة تأتيه قهراً، وإنما يبحث عن مزاجها، ما يستفز فيه صباه، يريد لها غزلاً يتمايل، لا بهيمة تستسلم، هي أزمة منتصف العمر، مشكلة حقيقية لدى العديد من الرجال، ليست مشكلة رغبة أو قلة نساء، وإنما في حقيقة الأمر هي مشكلة زيادة إدراك، زيادة وعي من الرجال بالمتعة وتدرج في مذاقها، في الواقع هي مشكلة ندم على ما فات من عمر، ولم يكن لديه هذه الخبرة بعالم المتعة ليستمتع به، بل وليس لديه كل هذه الإمكانيات والنفوذ، فالعين لا ترى إلا ما تعرف، والمرء يتذوق ما يعلم، فالمرهق يرضى ويشبع من مجرد قبلة، يتمتع أقل شيء، ولو حتى ملامسة أنثى، على الرغم من أن لديه القدرات الكافية لإقامة علاقة كاملة، ولا يشبع الناضج من علاقة كاملة على الرغم من احتمالية اختلال قدراته بعض الشيء، فهو لا يبحث عن الطعام، وإنما يبحث عن المتعة، عن المزاج، يبحث في بوفيه النساء المفتوح أمامه عما يريد فقط، ولا يستهويه كثرة اللحم، يبحث عن قطعة واحدة من اللحم بمواصفات خاصة، اكتمل شكلها ومذاقها في وجدانه بإدراك السنين، أما المرهق فلا نضج ولا إدراك له، فالمرهق مشكلته في الإدراك وليس في القدرات، والناضج مشكلته في القدرات وليس في الإدراك؛ لذا هو يندم على إدراك أتاه في وقت ضاعت فيه القدرات، فالإدراك آنذاك بات مشكلة في حد ذاته، فقد أتى بعد أن ذهب الصبا؛ ولذلك فأزمة منتصف العمر أزمة ندم وليست مشكلة رغبة مفرطة، تلك النزوات غير المنطقية ما هي إلا محاولات يائسة لاسترجاع الزمن.

فها هو المدير، كثيرًا ما يحاول مع فتيات معينة باحثًا عن أي رغبة تولد داخله، باحثًا عن أي لحظة صبا تدب فيه، مداويًا نقصًا يحيا به، يمزق رأسه التي لا تهدأ إلا إذا غطتها الصبغة السوداء ماسحة الشعر الأبيض، يطمئن نفسه أنه ما زال بحالة جيدة، ومن سوء حظ دينا أنها كانت تلك الفتاة التي بعثت فيه ريح الصبا، فكانت دون غيرها أهم النساء لديه، ولكنه لا يستطيع أن يعلن ذلك وإن اعترف به، بل صار أسيرًا لأن تكتم عليه سره، وأيضًا هو واقع في شباكها لترد عليه نسمات الشباب بعد أن عوض كل ما ينقصه من جاه، أزاح زبائنها كي لا تفضلهم عليه ولا ترى غيره، منهم من غادر البلاد، ومنهم من طلب نقله، أما حسن فكانت نور كفيلة به أغلقت جبهته.

ظهرت نتيجة تحليل الهيموجلوبين السكري، وكانت مرتفعة؛ ما يؤكد أن الأمر ليس عرضيًا، وأن نسبة السكر كانت مرتفعة في دم حسن، على الأقل في آخر ثلاثة شهور.

الجويلى : كده يا معلم لازم تاخذ علاج بانتظام، وتقيس السكر قبل وبعد الأكل لحد ما تظبط الجرعة، وطبعًا هتظبط أكلك وتسيبك من صواني الكنافة بالقشطة اللي إنت عايش عليها.

توجهت دينا إلى خالد تسأله عن حال حسن وعلاقته بالجنون، فأجاب: «ربنا يحفظه، مين قال كده؟» وبدأ يدافع عنه ويحكي لها أجزاءً من كلامه.

دينا : هوه أنا مش فاهمه قوي، بس شبه مقتنعة بكلامه.

خالد : لا يا شيخة! اقتناع برضه!  
دينا : آه صحيح، عايزه آخذ رأيك في حاجه.

وقصت له الحوارات الدائرة في المكان عن حسن.....

حضر شكري إلى مكتب المدير المغلق دومًا، ولا تدري ما ينتظره خلفه، الدخول والخروج بحساب. منزعًا من غضبه وحدته وهو يكلمه في التليفون، أتى مهرولًا، فشكري يخاف على كرسيه ولا يأمن شر المدير وإن كان له طوعًا.

المدير: الكلام اللي سمعته ده حقيقي؟

شكري مرتجفًا: كلام إيه يا فندم؟

المدير: إن حسن اتجنن.

شكري بهدوء يشوبه القلق: مين قال كده؟

المدير: أنا اللي باقول وانت شاهد. عندك مانع؟

شكري منتفضًا: كده حرام يا فندم.

المدير: حرام إيه يا شكري؟

شكري: كده كثير، حضرتك زمان اهتمته إنه بتاع نسوان وأنا أمنت على الكلام.

المدير: لا يا اخويا ما أمنتش، وكنت بتخبيه في العمليات عشان التهمة ما تثبتش عليه.

شكري: بس الجنان تهمة تدمر مستقبله.

المدير: خلاص نبتدي معاك من الأول، إنت اللي بتاع نسوان يا شكري.

شكري : ليه كده بس يا فندم؟

المدير : وأنا أعمل إيه في الضمير اللي ظهر لك فجأة ده؟

المدير : وشوف بقى تهمة زي دي تعمل إيه في مستقبل دكتور نسا ورئيس قسم كان؟ ولآ شوف ايه اللي هيحصل لما كلام زي ده يوصل وكيل الوزارة؟ وإنت عارف إنه حبيبي. طبعًا.....ما قولتليش إيه رأيك؟

كان المدير كلما أراد شيئاً يحصل عليه دون عناء أو حتى دون أن يشعر أحد به، فقط يرمي خصمه بتهمة غير قابلة للإثبات أو النفي تبقى معلقة ملتصقة به، يستعمل عقله فقط في نيل شهواته وتذليل الصعاب التي تعترض طريقه بأي شكل، يقول الفضيلة ويفعل الرذيلة، رفع سماعه التليفون مهدداً شكري بالاتصال بوكيل الوزارة. شكري منهازاً : خلاص، مجنون يا فندم.

دخلت دينا مبتسمة وعليها محل مكياجها، وبدلال : «طلباتك ياريس».

شكري منبهراً : أظن كده بقى عاقل يا فندم؟

المدير : روح انت يا شكري.

خرج شكري من عند المدير وهو يعلم أنه أضمر الشر، ولا عودة

عما أراد، فإدام الكلام قد خرج من محطة فله فلن يوقفه إلا محطة التنفيذ، ما هو إلا تأخير للوقت قبل التنفيذ. حتى لو نال ديننا، فما هي إلا مسكن لشرو سرعان ما ينتهي مفعوله، يعلم شكري أنه لن يرحم حسن حتى لو نال غرضه، بل لن يرحمه هو شخصيًا، لم يعد في خانة رجاله، أصبح من الأهداف الواجب إبادتها، بدأ يتذكر الحوارات القديمة التي ظن أن المدير قد نسيها، كان يظن أن نور حلت المشكلة وأغلقت جبهة حسن، ولكن الأمر ما زال موجودًا، ما زال متجددًا، يمر شريط الذكريات، ها هي لحظة اكتشاف المدير لكائن اسمه ديننا.

د/ عوض : حلوة البت، لا جميلة.

شكري : ده شرف ليها يا فندم.

المدير : آه، ظروفها إيه؟

شكري : كويسه.

المدير : فتح دماغك يا شكري.

شكري : ليها زباين مخصوص، مش قطاع عام.

المدير : بتفهم، مين دول؟

شكري : معرفش يا فندم غير إنها بتحب حسن.

المدير : بتاع إيه؟

شكري : الواد حلو وجذاب.

المدير : بس ما يقدرش يحميها.

شكري : هو أصلاً منفض لها .

المدير : آه، بتدافع عنه؟ ومين يحميك انت؟

شكري : أنا راجلك ياباشا، بس هي دي فعلاً الحقيقة .

المدير : عمومًا عقله .

كانت دينا في مكتب المدير تقدم فروض الولاء والطاعة، وتعيد  
جبل الود بعد توضيق الخناق عليها، فليس لحسن ذنب في إدمان  
المدير لها، هي من وضعته في مرمى صواريخ عقله، وطيران سلطته،  
وهي الآن تكفر عن ذنبها .

المدير مرتجفًا : رجعتي؟ عمومًا أهلاً بيكي .

همت دينا أن تمسك بيده وتمسح على خده : تحب ترتعش هنا ولا  
في الأوضة فوق؟

شد المدير يديه منها وبعتاب : بتحبيني ولا بتحبيه؟

دينا بدلال : وهو يجي إيه جنبك؟

المدير : وليه حرمتيني منك؟

دينا : كنت تاييه .

المدير : كده مابقتش توبه، كده بقى اسمها كنت منفضالك .

دينا : لا ما اقدرش .

المدير : يبقى جيتي خايفه عليه وفعلاً بتحبيه .

ما زال شكري على السلم تتصارع داخله الشكوك في عقاب

أشد ما قد ينزله به المدير، فانتظار الأذى وتوقع ألوانه أكثر فتكاً من وقوعه، أن ينبع بئر الخوف من داخلك، فهو يكوي وجدانك، ويعلم أماكن أوجاعك، وتلك التي لا يعرفها أعداؤك، يتذكر شكري تلك اللحظة التي حاول أن يتدارك فيها أذى المدير، ولكن دون جدوى، فالتهمة واقعة ما دامت غادرت مطار عقله، ولا حيلة للفريسة في تصحيح حالها.

المدير: خير يا بيه، أنا شايف حسن سايب شغله ومقضيها.

شكري: ده لسه طالع من العمليات.

المدير: أنا ليا اللي شوفته، وبعدين انت بتدافع عنه؟

شكري: هاربيه، ما تضايقش نفسك ده واد تافه؟

المدير: وبتاع نسوان.

شكري: لا ده محترم يا فندم.

المدير ينظر إليه بطرف عينيه: لا يا شيخ!

شكري: نمشها بتاع نسوان، بس لو نشف دماغه.

المدير: وانا لسه هاستنى؟

شكري: تمه زي دي تدمر مستقبله، أنا هاتصرف معاه بطريقتي.

لا تنفع الاحتياطات مع مثل هذا النوع من البشر إن نوى الفتك بك، لا حيلة لك إلا الرضوخ لسمه الناعم، فقد لدغك حين فكر، لا حين تدخل أنيابه في حياتك، فقد قام شكري بدوره للحيلولة دون اغتيال سمعة حسن.

شكري : إنت عارف إن دكتور النسا راس ماله سمعته.

حسن : طبعا يا ريس .

شكري : أنا عايزك تظبط سمعتك .

حسن : في حد اشتهكى لحضرتك؟

شكري : لا مافيش، بس خلي بالك من نفسك .

حسن بقلق : صحيح في إيه يابيه؟

شكري : المدير هينقل دينا .

حسن : وأنا مالي؟

شكري : يعني ما فيش حاجه بينكم؟

حسن : هي اللي بتحك فيا .

شكري : مش عايزين مشاكل ياعم حسن، وياريت تقطع علاقتك بيها أو تشتمها قدام الناس .

شريط متواصل من الذكريات، لا يمل فيه المدير من مطاردة كل من يقترب من مجددة صباه، لا يرحم أي شيء يقف في طريقه، ولكن تهمة الجنون تهمة خطيرة، ولديه القدرة على إثباتها وتسريع إجراءاتها، وسيكون شكري مجبراً على وضع بصماته فيها، ترفض نفسه المشاركة في تلك الجريمة، ولكن منصبه ومستقبله مرهون بتلك الشهادة الزور الرسمية، لابد أن يتماشى مع آراء ورغبات المدير تجنباً لغضبه، هناك درجات للفساد، ولا يخلو أحد من ذنب، ولكن المدير يريد أن يقتل بريئاً هذه المرة، حسن ليس هو الضحية

الوحيدة، فسجل العمل مع المدير حافل بالاتفاقات القذرة، لم ينس شكري يوم أغراه المدير للتخلص من الدكتور مرتضى، رئيس قسم النساء السابق، وكان من رجاله أيضًا، هو فقط تمرد عليه، ذات مرة رفع رأسه فغرس المدير أنيابه في مجرى حياته، والغريب أن مرتضى لا يعلم حتى الآن أن المدير هو الجاني، وإنما يحفظ له جميلًا لوقفته إلى جواره في القضية، ويظن أنه من خفف عنه العقوبة، في حين أن المدير هو من دبر له المكيدة، وشكري يعلم ذلك جيدًا؛ لأن المدير استعمله في هذا المكر ليكبله قبل أن يرفع رأسه ويتسلم منصبه الجديد، حسن ليس أحب لشكري من نفسه، مشكلة ستغص راحة شكري، وعليه أن يحول دون وقوع الأمر حتى لا يلطخ المدير يديه بهذا الاغتصاب البشري، لا بد أن يتماشى معه، فالطاعة أولى علامات بقاءه في منصبه، ولكنه لا يريد أن يظلم، مرتضى فعلاً كان مذنبًا، لكن حسن لا ذنب له، انقطع شريط الذكريات وحبل التفكير حينما اصطدم بخالد.

شكري : الواد هيضيع.

خالد : دي حقيقة.

شكري : ما تزقه على الجواز.

خالد : باحاول أقنعه بإنجي.

شكري : مناسبة جدًا ليه.

انصرفت دينا من عند المدير بعد أن أمعن في إذلالها، هو ليس بفرعون، وإنما هو يجيد النخاسة، لم يسأل دينا، واحترم رغبتها، أزاح

زبائنها كي تأتيه طواعية، أو لا تأتي أحدًا، يظن أن زهدها فيه لأنها تأتي حسن، أو على علاقة ما معه، فها هو الحبيب القديم ما زال ذا حيثية، هو لا يريد أن ينازعه أحد فيها، فإن لم تكن زوجته فهو يعتبرها ملك يمينه، لا شراكة فيها ولا يريد أن تؤدى كالفريسة للضبع، يريد أن يحولها إلى غزال ذي مزاج بتضيق الخناق عليها، وتوفير كل ما تشهيه من طعام داخل شبك ذراعيه، يغيرها بأمور عدة، تفعل ما تريد في زمام ملكه، تهتمها الآن أنها لم تعطه قلبها، تركها تتوب، وما أن لمح فيها أنها تلاعبه وتستغفله، بدأ يضم لها الشر، ما دامت تخلت عن توبتها لأجل حسن، فهي ما زالت في غيها، إلا أن حسن يغلق الطريق أمامها، ولكنه يومًا ما سيفتح.

هي ليست توبة صادقة، هذا ما استقر في نفسه؛ لذا أمعن في إذلالها، فبعد أن استكانت له أخبرها بأنها لم تعد تليق برفقته، وأنها لم تحافظ على المكانة التي خصها بها، ولا حتى قدّرت ما منحها من مزايا، لا يريد لها لغيره، ولن يملكها نفسه منفردة بسهولة، مستغلًا نظرية لا يصلح حال أنثاك إلا أن تشاركها فيك أخرى، هي من ستلعب دور مورد النساء، أمرها أن تعد له اليوم جلسة ومنتكنا بعد العصر، بعد أن تهدأ المستشفى ويرحل العاملون وحالات العيادات الخارجية، طلب منها أن تأتيه بعاهرة، كان يتابعها منذ فترة، ولم يفاتحها، وتلك مهمة دينا، أن تأتيه بريهام، ذاك الغزال المصمم بعناية، تضفي على قسم الجراحة شعبية تكاد تعادل ثقله الطبي، بل هي عند أهل المستشفى خير خليفة للمعتزلة دينا، فمن لم يكن من المشاركين فهو واحد من المعجبين المنبهرين، وقع عليها

الاختيار، فقد آن أوان دخلته على تلك الفتاة، لعلها تعيد عليه جزءًا مما مضى، كان يظن أن هذا سيفتت نفسية دينا، ولكن هذه المهمة أتلفت قلب دينا؛ فقد وجدت من تتجرع مرار الأسر عنها، توجهت إلى شكري .

دينا: إزاي تقول إن حسن مجنون؟

شكري : ما انتي اللي عامله شريفة.

دينا: والله تويت فعلاً

شكري ساخرًا: لا يا شيخه وده من إمتي؟

دينا: من يوم ما نور ماتت .

شكري :وانتي مالك؟ دي كانت ضرتك!

دينا: ما هو يوم ما ماتت كانت بتجري مني .

شكري: ليه؟ دي كانت خطيبته رسمي .

دينا: أيوه رسمي، شافتني وأنا بهزر معاه وباخبط على إيده، جريت

جري وراها، وبعدين سمعت الخبر .

شكري متأثرًا : الله يرحمها .

دينا: صاحبة الحق ماتت، الرسمي حصلها كده، الشمال لازم تتوب

ولا لأ؟

شكري: وتحج كان .

دينا: الحل إيه في المدير ده؟

المستشفى شبه خالية، صمت رهيب مهيب. «طلقني يا كلب» اتجه الجميع إلى مكان الصوت، مشهد رهيب، المدير ملفوف في ملاءة، زوجته تنهره، ليف من العاملين بالمستشفى، كانت دينا قد أحضرت الملاءة وهي تعد المتكأ، بل حين اتصلت بزوجه تخبرها بالمكان والميعاد، وهي تعلم بأنها كانت تشك فيه، فقد كان يحكي لها قبل أن تتوب كثيراً عن علاقته الزوجية في لحظات الصفا، تصرخ زوجته وتصيح بكلمات اللعنة تعبر فيها عن تواصل شكها فيه، تتفوه بآلام صبر السنين، وتتخلص من أذى الشك الذي أصبح حقيقة واضحة، لا يسمع المدير شيئاً من كل هذا، فكل حواسه منصبة على دينا، مشغول بخيانتها لثقتة، يهتمها بتدبير وإحكام الفخ، يتقل لها في نظرات الوعيد، هي من هزت عرشه ومصدر سلطته، لكنها لم تهدمه، ولا بد من كرة أخرى، هي فقط رفعت النقاب عن وجهه القبيح، تزيد نظراته شدة وهي تزداد ابتساماً، فهي لم تعد تخشاه، كانت عاهرة، وكان لها في الشرباع، وكان شريفاً، وأصبحوا في خبرة الشر سواء، وكأنما يحارب الشر بعضه، بل الظلم والاعتصاب هما من حول العاهرة إلى مناضلة، فالشرف ليس حكراً على أحد، ولا يخلو الأحرار من العهر، لم تنتفض لأجلها وحسب، وإنما لدرء شره عن الناس، عن حسن، ليس كحبيب، وإنما كمظلوم يحاق به مكر، فهو الآن عندها من عوام الناس، الرذيلة رذيلة وإن كانت تمارسها، فلا إجبار فيها، وهي لم تدع الشرف، ولكن لها أن تختار مع من تأتي رذيلتها، وهو يصر أن يكون مغتصباً لعمله قبل فرائسه، وها هي الثورة حاسمة رادعة، فلا يفل الشر إلا شر، ولا يرد المكر إلا مكر.

كان الحضور في صدمة، فقد كان د/ عوض نموذج نجاح لدى البعض، بل كان نموذجًا للقائد الذي يرمى جنوده ويهتم بحالهم، ولكن اختلفت نظرات الحاضرين، فبينما كان الحضور مشغولين بالصدمة، كان إسماعيل يتفحص جسد ريهام العاري، فلم يبالي أحد من الواقفين بتغطيته من هول الصدمة في أمر د/ عوض، وحتى هي لم تلتفت إلى تغطيته أو حتى وضع يديها على عورتها أو نهديها الفذين، ناهيك عن ساقها الرشيقتين المستفزتين للغرائز، جاب إسماعيل بنظره معالم جسمها عدة مرات حتى استفز بياض جلدها عينيه؛ فانترع ملاءة من السرير وذهب يتحسس نعومته في محاولة ظاهرها الستر وباطنها معاينة البضاعة، إذ ابتسم لها ابتسامة خفيفة ردتها عليه، فلم تكن تبالي بالفضيحة ولا هول المشهد، فلم يتعد الحضور كونهم جمهورها في عملها الليلي كراقصة، وقبل أن تلامس أنامل إسماعيل نعومة جلدها فارضة مبدأ وضع اليد لمخلفات الموقعة، زعت فتحية منه الملاءة بعنف وألقته في يديها بحدة، رحل المدير في مشهد عجيب، ارتدى ثيابه، وصل الخبر إلى وكيل الوزارة، وقف الجميع في ذهول .

شكري :عينيه كانت هتاكلك .

دينا : سيبك منه .

شكري : وانتي فاكره هيترفد؟ آخرهم هينقلوه، الراجل الكبير حبيبه وهيداري عليه .

دينا :وعشان كدا صورت كل حاجة .

منهراً شكري : مجرمة لا جامدة، وعملتيا إزاي دي؟ إحنا اتفقنا على الملاية بس.

دينا : شاورت ناس، ونصحوني.

شكري :بس، كدا انتهى.

دينا : هو ده بيخشي؟ أنا بس كنت بأمن نفسي منه .

وفي جانب آخر كان حوار آخر، في ذهول من سقوط نقاب الفضيله عن هذا الوغد الذي لطالما احتكر الشرف.

ناجي : ده رجل واطي، مراته ست محترمة وجميلة .

خالد : كله بسبب البيه.

حسن : وأنا مالي؟

خالد :عشان دينا اتخضت عليك.

حسن : وأنا مالي بيها؟ أنا في حالي وهي ثابت فعلاً.

ناجي : شطبت بجد؟!

حسن :من يوم ما نور ماتت.

ناجي : وهي مالها؟

حسن : شافتنا واحنا بنهزر بعد سهرة الكباريه.

خالد : إيه اللي حصل؟

حسن : كنا في الطريقة بنهزر شافتنا نور، جريت جريت وراها، اللي فهمته منها قبل ما تسيب المستشفى إن في حد فتن عليا عندها .

خالد : ما رحتش وراها ليه؟

حسن : رفضت إني أركب معاها العربية قالتلى «سبنى عايز أرتاح شوية» .

بندم ناجي: الله يرحمها.

وكان لفتحية العاملة نصيب من الدهول والذم «يالآ أفضحك، راجل ناقص» وأيضًا عم سماعيل البوفيه كان منبهراً مما حدث «آه يانمس» .

استمر حسن على علاج السكر الموصوف له، ولكنه يشعر بدوار وصداع، وقياسات السكر لا تبدو عالية، خفف الجرعة، ولكن هي نفس الأعراض، رجع إلى الطبيب المعالج، فأخبره أنه ليس مرض السكر، وإنما هو قصور في درجة حرق الغذاء، لابد أن يتوقف عن العلاج، فلا فائدة منه، وإنما علاجه هو الرياضة والريجييم، علاجه إنقاص وزنه، كان له حديث مفصل مع الجويلي.

الجويلي : أيوه لازم تخس وتلعب رياضة وهو ده علاجك.

حسن : رياضة ماشي، لكن أخس إزاي؟

خالد : من يوم ما بطلت كورة وانت مليت.

الجويلي : هتمنع بس شوية حاجات.

حسن : زي إيه؟

الجويلي :اللحمة الحمرا.

حسن : ليه؟

الجويلي : عشان اليوريك أسيد بتاعك عالي يابيه، من العكاوي  
ولحمة الراس بتاعتك....والمسامط الي انت عايش فيها طول  
الكلية.

حسن : كان زمان، وايه تاني يابيه؟

الجويلي : وطبعًا الرز والمكرونه، الحاجة الساقه، الشوكولاته،  
الجاتوهات، الحلويات، الشيسي، وطبعًا الفاست فود انتهى من  
حياتك، والسمنة سم قاتل.

حسن ممتعضًا : وايه كان؟

الجويلي : وممكن تاكل سمك مشوى، خضار كثير، فاكهه كثير،  
عيش أسمر، تونه، سلطات .

حسن : لا، كريم جدًا!

الجويلي :مع الرياضة، في خلال شهرين تلاته تلاقي نفسك خسيت.

حسن :يالهوي ده أنا عايش على الحاجات الي اتمنعت، خاصة  
الفاست فود، ومعرفش الحاجات المسموح بيها تقريبًا .

الجويلي : خليك خفيف، خليك صحيح.

حسن : ماتسيك من جو الإعلانات، ده أنا تقريبًا هصوم!

خالد : أدي آخرة العزوية وأكل الشوارع يا صايع.

الجويلي : آه صحيح، ما تنام وتتجوز وأديك لما هتخس هتبقى شقي.

خالد :هي الدهون ليها علاقة بالموضوع؟

الجويلي : ده هي سبب مشاكل أي حنة تقريبًا، بتخلي الكبد يزهدق،  
البنى آدم يبتقى عصبي، متنرفز، همدان، كسلان .

خالد : صحيح بتضيع الرغبة؟

جويلي : تقريبًا، وممكن تخلي الراجل يزهدق في الحریم.

يرحل الجويلي متجهاً إلى قسم الرعايه تاركًا صديقيه في قسم الأطفال.

خالد : آه صحيح إتجوز!

حسن : ما ينفعش!

خالد : ليه يا أمور؟

حسن : كده تبقى خيانه لنور.

خالد : يا ابني ماتت! ماتت!

حسن : انتقلت.

خالد : طب ماهي كان خانتك.

حسن : ده قدرها.

خالد : وإنت قدرك تفضل هنا.

حسن : بس مش عايز اتجوز حد غيرها.

خالد : أقولك اتجوز دنيوية لحد ما تقابل البرزخية.

حسن : طب وليه؟

خالد : عشان دي سنة الدنيا اللي انت عايش فيها، ياريت تلتزم بقوانينها وتتجاوز من بناتها، واهوه ترحمك من أكل الشوارع وتحس وتنصف، أبوك عايز يشوف أحفاده، ممكن يكون في ولاد جاينين في ميعاد معين، وآن الأوان بقى، نظرية الممر ولا نسيت دلوقتي؟ والبت إنجي، ماعرفتش غيرك بقالها عشر سنين خلي عندك دم، وما دام فيه عيال لازم يبقى فيه جواز ولا نسيت؟

حسن : إنجي؟!

خالد : واتغيرت ومافيش حجة.

حسن : هي انحرفت؟ ده حقيقي.

خالد : وأبوك معجب بيها ومتكلم عليها.

حسن : إزاي؟

خالد : وقال لأمها أنا مش هلاقي أحسن منها وهي تخصصنا، ولو حسن ماتجوزهاش يا ستي أتجوزها أنا.

حسن : شقي الراجل ده.

توجهها إلى ناجي في العمليات، التقوا في الطريق سلامة، أحد عمال العمليات، فسألوه عنه، فأخبرهم أنه في المكتب .

سلامة : هاجي معاكم يا باشا.

حسن : لأ روح انت شوف مصالحك.

سلامة : لا يا باشا، ده أنا كنت عايز أشوفك من بدري.

حسن : أوامر يا سلامة، تحت أمرك.

سلامة : لأ، أنا عايز أطمئن عليك .

حسن : الحمد لله كويس يا سلامة .

سلامة : خضتنا عليك، خير في مشاكل في صحتك؟ أهوه دكتور ناجي .

حسن : أهلاً يا ناجي، لا يا سلامة ده عشان وزني زياده فعملي شوية مضاعفات .

ناجي : من يوم ما بطلت الكورة وانت بقيت بكرش .

سلامة : لا، كرش إيه يا دكتور ناجي، هو طويل والوزن مايبانش عليه .

ناجي : أيوه يا سيدي ماهو حبيبيك، ما هو عامللي فيها نصير الغلابة .

سلامة : ربنا يخليه لنا، إحنا نلعب كورة تاني يا باشا .

حسن : كورة إيه يا سلامة؟ كان زمان .

خالد : ما هو لازم رياضة، مش ده علاجك والجويلي لسه قايلك، سيبك من العشوائية اللي انت فيها دي .

حسن : هنلاقي لاعبية منين زي زمان؟

سلامة : أنا ياباشا هنظم ماتش كوره كل أسبوع في ملعب قريب من المستشفى .

سلامة شاب بسيط، يحب حسن كثيرًا، فهو يرحمه من زفزة ناجي، وإن كان ينفر من حدة ناجي، إلا أنه يحب الركون إلى هؤلاء الرفاق دومًا، يقول عنهم إنهم نجوم سينا، والكاميرا تسير معهم .

كان حسن طاقة إيجابية تملأ المكان مرحًا وأحداثًا، ولكن عصفت في حياته نور التي تركته جثة هامدة، يشعر الناس حوله أنه خرج عن عالمهم إلى عالم اللاعالم، ومن واقعهم إلى آخر افتراضي، افتقدوه وضاع من المحيطين به، ينزوي كثيرًا باحثًا عن ضالته، والناس بين مشفق عليه أو شامت فيه، وحتى أعمال النوبتجية باتت شاقة عليه، فلا يحب أن ينشغل بغير نور كثيرًا، كان في السكن، فحضر إليه مصطفى النائب الجونيور .

مصطفى : مالك يا باشا زعلان ليه؟

حسن : مشغول شوية يا درش، عندك حالات؟

مصطفى : كله تمام، مافيش حالات طوارئ، قلت أدرش معاك شويه .

حسن مبتسمًا : اتفضل اقعد .

مصطفى : هو حضرتك زعلان عشان الكلام اللي بيتقال عليك؟

حسن : كلام إيه؟

مصطفى : هو صحيح إنك كفرت؟

حسن : لأ، أنا مؤمن بالله جدًّا .

مصطفى : أومال إيه موضوع اللعنة والبدع والغضب ده؟

حسن : لعنة إيه وبدع إيه؟

مصطفى : هما يقولوا كده، ويقولوا إنك بتقول كلام غريب .

ينكر حسن الأمر، ويبدأ بشرح أجزاء من الأفكار التي توصل إليها، وأن هذا يؤكد على قدرة الله في خلقه، وأن القرآن معجزة، ويدعو الإنسان إلى الإيمان وليس الكفر، هو يدافع عن نفسه، و ولمس أيضًا في مصطفى تعاطفًا، بدأت عيناه تلمع في أن يكون رفيقًا في الفكر، شريكًا في رحلته، هو يغويه ويشرح له مقتطفات .

حسن : هو انا متقل عليك؟

مصطفى : لا كل أنا عايز أسمع .

حسن : المهم أول لما تزهق قول .

مصطفى : الكلام جميل وجذاب .

حسن : وعندك لو بصيت في الآية خمسة من سورة الحج .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)

صدق الله العظيم .

شوفت ربنا بيسوق لمن يشك في البعث إعجاز وجهه بأنه أقرهم في بطون أمهاتهم إلى أجل مسمى ثم يخرجهم طفلاً، إن كانوا في شك من البعث فلينظروا إلى كل الصور التي ساقها الله إليهم، وكأن مشكلة الناس كانت كيف يبعثون بعد الموت؟ أو هل هناك حياة أخرى؟

مصطفى : حتى إن سيدنا عيسى -عليه السلام- كانت معجزته في إحياء الموتى.

حسن : وكأنها مشكلة متكررة لدى الأمم .

مصطفى : سبحان الله ما هو بكلام بشر فعلاً، الأفكار دي حاجات نظرية ولا ليها تطبيقات عملية؟

حسن : هو ممكن تبقى نظري، وممكن يبقى لها تطبيقات عملية في حاجات كتير.

مصطفى : زي إيه؟

حسن : الطب مثلاً، الرياضة، الفيزياء، الفلسفة، الاجتماع، وحتى ممكن تطرح تفسير لحاجات كتير، ومنها رحلة الإسراء والمعراج .

بانهار مصطفى : إزاي؟

انطلق حسن في شرح تطبيق هذا الكلام في تفسير رحلة الإسراء والمعراج التي كان ينكرها الكثيرون، ومن يؤمن بها كان يعتبرها من الغيبيات، بل هي حقيقة ودليل على النبوة، بل هي من إعجاز الله في كونه، هي إشارة لنا ومصباح كي نتعلم منها، ولتبسيط الأمر،

فهم لا يعلمون ما بعد الدنيا إلا إيماناً، قالوا لو أن شخصاً منوياً أو جنينياً تجاوز وأتى الى الدنيا، أو ربما ذهب إلى البرزخ وعاد إلى عالمه وحكى ما رآه، فهذا يعتبر بالنسبة لهم هناك إنجاز وشيء غير مصدق، فالطاقة هناك في المنويين أو الأجنة مختلفة عن هنا في الدنيا، قوانينهم مختلفة، وكذلك إدراكهم قاصر ومختلف مقارنة بهنا، فهنا يمكن أن نصدق أن سيارة أو طائرة تجاوزت المسافة الفلانية في الوقت الفلاني، أما هناك فلا يصدق المنويون أو الأجنة أن المسافة الكبيرة هذه تمت في وقت ضيق، بل لو عاد وقال إن فلاناً سيتناحر مع أخيه غداً، إن هؤلاء الأعداء سيصيرون أصدقاء، بل لو عاد الجنيني وقال إن يوم الدنيا بثمانين يوماً جنينياً، أو أن يوم البرزخ ٢٩,٢٠٠ مليون يوم جنيني، لعلهم يبهرون، هذا مثال لما قد يكون قد حدث في رحلة الإسراء والمعراج، وللرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى، بكل بساطة أعطى الله -عز وجل- نبيه صلى الله عليه وسلم الطاقة والقدرة واتساع دائرة الرؤية، فنقله إلى دور أو دورين أعلى من الدنيا، أعطاه القدرة على الرؤية هناك، أكسبه الطاقة والقوانين، فلو أن طائرة انطلقت من مكة للقدس، لن تعود والفراش ما زال ساخناً، فما بالك أنه انتقل إلى السماء؟! أرجعوا ما حدث إلى أن الانتقال قد يكون عبر الأطوار وليس مكانياً أو زمانياً .

مصطفى : دي نظرية الأطوار والشجرة؟ ولآ الكاميرا والضوء؟

حسن : لا دي وفقاً لنظرية الأدوار والشجرة .

مصطفى : والكاميرا والضوء؟

حسن : مش هنا، ليها تطبيقات تانية.

رفع الله الغطاء الديوي عن نبيه صلى الله عليه وسلم للحظات أثناء الدنيا، فاتصل مع أهل البرزخ، وجد الأنبياء مجتمعين هناك في المسجد الأقصى، بل وتجاوز قدرتهم وانطلق إلى ما هو أعلى؛ حيث نقله الله بروحه عن الدار الدنيا إلى باقي الدور ثم عاد، وهذه الرحلة لا ينطبق عليها القوانين الزمنية الدنيوية، فيوم الدنيا لا يساوي دقيقة من الدور التالية .

حسن : وده دليل على ثبات الحدث؛ حيث روى النبي صلى الله عليه وسلم أحداثاً تمت من بعده .

مصطفى : فعلاً الغيب لله وحده، ولكن الله أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على جزء من ملكه.

حسن : الحياة عبارة عن كامير، من يسلط عليه ضوءها يكن زمنه، وانصراف الضوء يجعله ثابتاً في فراغ الزمن.  
مصطفى : أيوه بيروح فين؟

حسن : موجود، ولكن غير متحرك، غير حي بالنسبة لنا، انتقل من طورنا .

بدأ حسن يسرد بعض الملاحظات عن الأمور غير الطبيعية لعلم الجنين وتشابهها مع الدنيا، فالولادة السريعة كالموت المفاجئ، وأيضاً الولادة المبكرة كموت الشباب، وحتى الولادة التي تستغرق

وقتًا طويلاً، كالموت الذي يسبقه فترة طويلة من المرض، وحتى في نهاية عالم الأجنة، تجد أن تكلس المشيمة اللي بيتدي يحصل في الأسبوع ٣٢ من الحمل يشبه تأثيرات الشيوخوخة وتصلب الشرايين اللي بيتدي يحصل من سن الثلاثينات، تلاقي إن الاتنين يقللوا وصول الدم، وده بيكون سبب الوفاة عندهم، وعندنا قلة سريان الدم في الأوردة والشرايين ممكن تسبب الوفاة برضه

«بل إن الجنين ذو الوزن الزائد نسبه ما بين (١ - ١٠٪) ولو دقت النظر في نسبة الأغنياء في كل رقعة أرضية مهما كبرت أو صغرت، تجد نسبة الأغنياء كنسبة الأجنة زائدي الوزن.

مصطفى : ده الموضوع ليه أبعاد ثانية بقي!

حسن : طبعا، أي حاجة مخلوقة بعناية وبقدر، ولكن نظرنا هي اللي غير مكتملة، إدراكنا غير ناضج بعد.

مصطفى : سبحان الله!

حسن: وكل العوامل بتأثر على بعضها.

مصطفى : إزاي؟

حسن : يعني الأم اللي عندها ضغط أو سكر أو فقر دم عيالها بيتأثروا بمرضها، والحمل نفسه ممكن يعمل للأم ضغط أو سكر وأكد أنيميا.

مصطفى : وبيورثوا المرض، ده ممكن يورثوا سلوكها كان.

حسن: ماهو كل أم بتبتهت على عيالها.

مصطفى : فعلاً.

حسن : وبكده ممكن تكون أم البرزخ بتبتهت على عيالها الدنيويين؟

مصطفى : إزاي؟

حسن : يعني تلاقي مثلاً أهل كل أرض ليهم سلوك مشترك عبر كل العصور.

مصطفى منبهراً : آه فعلاً! تلاقي الصعايدة طول عمرهم رجاله وشداد، والإسكندرانية ولاد حظ.

آثار حسن ملحوظة أخرى يريد أن يجهز بها على عقل مصطفى، يريد ريفياً، يريد أن يتبادل الحديث مع دنيويين، يريد أن يعود من نقطة التماس، سأل حسن: «من علم الطفل البكاء إن كان لا حياة قبل الدنيا، بل من علمه الرضاعة»؟! مصطفى : آه صحيح!

علل حسن أن البكاء قد يكون لغة الجنين في نهاية حياته الجنينية، والرضاعة هي طريقة أكله في نهاية حياته الجنينية، ويُبعث هنا في الدنيا على ما مات هناك، وكذا قد يكون هناك في البرزخ بكاًؤنا هو الكلام ورضاعتنا هي الأكل، نُبعث هناك على ما متنا عليه هنا .

مصطفى : موضوع الرضاعة ده ممكن يفسر حاجات تانية؟

حسن : زي إيه؟

مصطفى : يفسر ليه الطفل بيتولد شارب ميه ويحتاج تشفيط  
علشان يعرف يتنفس .

حسن : عشان اتقل من وسط مائي لوسط هوائي، وقد نكون نحن  
أجنة برزخية، ولكن في غلاف هوائي .

مصطفى : أيوه بس الجنين هناك في الرحم لوحده واحنا هنا مع  
بعض كثير!

حسن : ده اللي بنشوفه بالسونار، وما يدريك! لعلهم يتعاملون مع  
بعض في دائرة حياتهم، زي ما ممكن يكون أهل البرزخ بيعملوا سونار  
ليا مثلاً ومش عارفين إني بكلمك دلوقتي. ويمكن يكونوا منبهرين  
بحركة إيدي وانا باشاورلك .

مصطفى : آه ممكن! إنت عارف أشرف؟

حسن : أيوه زميلنا .

مصطفى : ده بقى نصاب، بياكل دماغ الحالات بالسونار .

حسن : إزاي؟

مصطفى : لما بيعمل سونار للحامل ويلاتي الجنين رأسه في الحوض  
يقول للحاله «ما شاء الله عليه، ده ساجد يا ماما!»!

حسن مبتسماً : مجرم أشرف.

مصطفى : والجنين اللي بالعرض «زي الفل يا ماما شوفي، بيلعب  
ضغط ورياضة اهوه» .

يستأنفان فكرة الغلاف الهوائي، وأنه كلما قل الماء حول الجنين فإنه يتأثر صحياً، وأيضاً حينما يقل الهواء حولنا نتأثر صحياً ونختنق، بل إن الجنين تنتهي حياته في عالم الأجنة حينما تنضب المياه حوله وتجف، وأيضاً الدنيوي يموت حينما يتوقف التنفس وينضب الهواء من حوله.

مصطفى مازحاً : لما قرن الهوا يطش .

حسن : وده ممكن يفسر إن يعقوب -عليه السلام- شم ريح يوسف -عليه السلام- .

مصطفى : حلوه دي، الغلاف الهوائي ده في رحم أمنا البرزخية.  
حسن : وارد .

مصطفى : والناس لما بتموت عندنا بتروح فين أصلاً؟

حسن : الله أعلم، ولكن قد يكون الناس هناك على بلوتو، أو المريخ، أو غيرها من الكواكب، ولكن لا نراها مهما طورنا الكاميرات كما لا تارانا الأجنة مهما طورت الكاميرات؛ لأن طاقتنا أقل من طاقه البرزخيين .

ومصطفى : وناسا تعرف الكلام ده؟

حسن : ومال ناسا بجوارنا؟

مصطفى : ده ممكن يحل أَلغاز عندهم، أنا قريرت إنهم اكتشفوا مجرات كثير جداً يقولوا إن المجرات والكواكب دي مش معقول ما يكونش عليها حياة عاقلة! فقالوا بيعتوا إشارات للكواكب دي

احتمال حد يرد!

حسن: ما ممكن تكون الشهب والنيازك رد أو اشارات مبعوته من هناك برضه بس احنا مش مترجمين .

مصطفى: وارد والله أعلم، بس في فعلاً حاجات بتيجي من بره زي ما إشارات بتروح من عندنا وزمانهم بيستغربوا برضه، فعلاً الموضوع محتاج ترجمة، لغة تواصل.

حسن: وممكن يكون عالم الأجنة تقدم فلكيًّا، وبيبعث إشارات بس احنا مش مترجمين برضوا .

مصطفى: طب ليه محدش فكر في اكتشاف بطن الحوت؟!

حسن: إزاي؟

مصطفى: كأرض جديدة، وهل يصلح الحياه فيها ولا لأ؟

حسن: مش عارف يادرش، بصراحة ما خطرش في بالي الموضوع ده .

مصطفى: سبحان الله! ويخلق ما لا تعلمون!

حسن: فهم الناس للقرآن يزيد إيمانهم .

مصطفى: أو مال إيه بقى موضوع اللعنة بتاع د/ عماد ده؟ كده ما فيش كفر ولا حاجه، ده فيه تدبر، فيه إيمان، ربنا يفتح عليك .

حسن: لعنة إيه يا درش، الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح

بعوضة، شوف بقى أنا أساوي إيه؟! لعنة إيه؟! ربنا غني عنا احنا  
اللي محتاجين ليه .

مصطفى : فعلاً .

حسن : وبعدين اللعنة لو هتنصب، كانت نزلت على اللي بينكر  
وجود الله أصلاً، اللي بيسبوا الدين، ده أبو هلب عاش ومات كافر  
وربنا كان بيرزقه برضه، ولّا الفراعنه كانوا عاملين نفسهم آلهه، وربنا  
سايهم ملوك برضه، الله أكبر! الله أكبر يا درش!

مصطفى : ونعم بالله .

حسن : ماحدث معاه توكيل من ربنا يا درش .

مصطفى : فعلاً .

حسن : وأديك شوفت هما فسروا موضوع مرضي وزيادة الدهون،  
وصوروه للناس في القسم على إنه لعنة .

مصطفى : وده ممكن يفقد د/ عماد مصداقيته لو الناس عرفت .

حسن : زهقتك؟

مصطفى : لا ده أنا مستمتع .

حسن : ده عشان أن سنيور عليك، بتناقى .

مصطفى : لا عشان بجد، وزعلت من الكلام اللي اتقال  
عليك فقلت أتأكد .

حسن : ولقيت إيه؟

مصطفى : اقتنعت بكلامك .

حسن : شكراً لاهتمامك وذوقك يا درش .

السهر آفة تحييط بحسن قديماً؛ إذ كان يعيش على المنبهات والسجائر، ولكن الآن بعد أن تخلص منهما لا ينام أيضاً؛ فهو رفيق للفكر، وهذا يورث أرقاً وقلقاً أسوأ من المنبهات، وكان هذا عاملاً في عدم قبول دعوة سلامة حين أخبره في اليوم التالي للنوبتجية بأنه حجز ساعتين في ملعب، وأنه ينتظره ليلعب معهم، وحين اعتذر حسن بأنه لن يستطيع أن يحضر لأنه يريد أن ينام، استاء سلامة من ذلك، وكان له حوار مع عم سماعيل ساعي البوفيه وفتحية العاملة.  
فتحية: مالك ضارب بوز ليه؟

سلامة : كل ما أحدد ميعاد عشان نلعب كورة الدكاترة يعتذروا /  
سماعين : كورة إيه يا فقري! هتروح تهد بدنك ليه ؟  
فتحية: ما يمكن مش عايزين يلعبوا معاك خلي عندك دم .  
سلامة : لأ، هما قالولي موافقين وبعدين عمرهم ما عملوا علينا دكاتره .  
سماعين : الصراحه أيوه، بس الدكتور ناجي ساعات بتهب منه .  
فتحية: إتوكس إنت، احنا لينا حساب بعدين .  
سلامة : طب أسيبكم تقطعوا بعض .  
فتحية: إتلم يا واد يا سلامة واقعد ساكت ماتحرجش حد .

أشعلت فتحية النار وفتيل أزمة طبقية في سلامة إزاء الرفاق، لم يشعر بها منهم، ولكن لا يستطيع أن ينكر ترقبه لها يومًا ما، خاصة بخلافاته الكثيرة مع الدكتور ناجي، سرعان ما يذهب هذا الاضطهاد الطبقي داخله حين يتذكر حسن وأطباء كثيرين مثله في المستشفى، لكن الطبقة واقع اجتماعي موجود وإن أنكرناه .

أثناء مرور حسن الصباحي على الحالات يوم النوبتجية، وجد رجلاً يلبس ثوبًا أسود، ذا لحية كثيفة يتوسط صدره صليب كبير، أتى لزيارة حالة أجرت ولادة قيصرية بالأمس، وبعد أن أتم حسن مروره الطبي على الحالة .

حسن : ممكن أتكلم مع حضرتك شوية؟  
«اتفضل» .

حسن : أنا حسن محمد صبري، مسلم .  
«وأنا جورج إخناسيوس» .

حسن : ممكن أستفسر من حضرتك عن شوية حاجات في بحث بأعله؟  
جورج : اتفضل .

حسن : حضرتك هي الروح اتخلقت زمان مع آدم -عليه السلام- ولا لأ؟ وبعد ما بتموت في الدنيا بتروح فين؟ وهل هناك عذاب قبر؟ وهل الجنة على الأرض أم في السماء؟  
بابتسام جورج : وده بحث طبي؟!

حسن : لأ، فلسفي .

جورج : بعد الإنسان ما يموت في الدنيا بيروح حاجه اسمها دار  
الانتظار، وهي إما دار النعيم للأبرار، أو دار القلق للأشرار .

حسن : اللي هي دار البرزخ عند المسلمين؟

جورج : تقريبًا .

حسن : وطبعًا مؤمنين بالآخرة؟

جورج : طبعًا .

حسن : اتفضل حضرتك كمل .

جورج : وبالنسبة للأرواح فليس لدينا ما يفيد أنها خلقت قديمًا  
مع آدم .

حسن : وليس لديكم ما ينفي أيضًا .

جورج : أيوه، بتتخلق لما الإنسان بيجي في الدنيا، وإلا فأين كانت  
لو كانت موجودة قبل الدنيا؟! فأنا أرى أن الإنسان له بداية وليس  
له نهاية في دار الخلود التي لا موت فيها، والله وحده هو الذي ليس  
له بداية ولا نهاية، فهو أزلي أبدي .

حسن : ونعم بالله

جورج : أما بالنسبة للجنة فلا شيء يدل على وجودها في السماء أو  
في الأرض، ولكن أظن أنها على الأرض .

جورج : هو انت بتبحث في الروح؟

حسن : لا، الروح لا قبل لي بها وعلمها عند ربي .

جورج : بالنسبة لدار الانتظار، فهي حياة لا عمل فيها ولا حساب، أنا دومًا بشبهها بالفترة التي تعقب الامتحان وحتى النتيجة، فترة لا مذاكرة فيها ولا امتحان، ولكن كل طالب عارف إجابته، اللي حائل كويس يبقى مستعجل النتيجة، واللي مجاوب وحش دايماً تلقاه قلقان ومش عايز النتيجة تظهر، عمومًا هي حياة بلا عمل ولا نتيجة، ولكن كل واحد عارف إجابته، عارف عمله إيه .

حسن : يعني هي حياة؟

جورج : نعم، ولكن دار انتظار بلا عمل ولا نتيجة .

جورج : أما بالنسبة لعذاب القبر فاحنا مش مؤمنين بيه .

حسن : أنا ممنون جدًا لسعة صدر حضرتك .

جورج : لا، شرفنتي يا دكتور .

خرج حسن ينقب في كلامه كي يستدل بأي معلومة تعينه في بحثه «في دار آخره، ودار انتظار اللي هي البرزخ، لا عمل فيها ولا عقاب، تمام زي ما قال الشعراوي دائرة أخرى من الحياة، ولكن لا نعلم مكانها، مش مؤمنين بعذاب القبر، بس احنا مؤمنين بيه، أيوه هوه موجود في القبر، إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار». توقف حسن وأخرج موبايله، وبحث عن صحة هذا الحديث، ولكنه فوجئ بأن الحديث لم يروه إلا الترمذي، ولكنه قال إنه حديث غريب، وقال عنه النسائي وابن حنبل إنه حديث

ضعيف غريب، وهكذا قال عنه معظم العلماء، هنا تذكر حسن مقولة للشعراوي حين سُئل في هذا الأمر: « كيف يكون عذاب دون حساب؟! فان كان عذاب فلم الحساب؟! وإن كان حساب فلم العذاب؟! ولكن يرى المرء مقامه وعمله في قبره، فأل فرعون يُعرضون على النار غدوًا وعشيًا، ولا يدخلونها إلا يوم القيامة، فالميت يرى مقامه، ولكن غير معذب». احتار حسن! عذاب أم لا عذاب؟! هو موجود، ولكن ليس عذابًا، هي آلام مرور كآلم مرور الجنين من مهبل أمه إلى الدنيا، وهو ما وصفه نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، بأن للقبر ضمة، لو أن أحدًا نجا منها لكان سعد بن معاذ، وسعد بن معاذ مؤمن، وقد شهد بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم ينجُ من الضمة! هي ضمة لا ينجو منها أحد، مسلم أو كافر، طفل أو كهل، فولادة الطفل لأم مؤمنة كولادة الطفل لأم كافرة، هي عملية فسيولوجية، تحدث للجميع على حد سواء، فعلاً هي عملية مرور للقبر، ضمة كضمة الأم لوليدها، تختلف فيها الضلوع، ولكن أبدًا لا تؤلم، أم لضمة صدر، لا تجرؤ أم أن تؤلم وليدها وهي تضمه في صدرها، لا تستطيع أن تضمه حتى تختلف ضلوعه إلا رغبًا عنها وإجبارًا، والضمة الوحيدة التي تؤلم فيها الأم وليدها هي ضمة الولادة، ولكن رغبًا عنها وليس بإرادتها، فعلاً هي ضمة مؤلمة للأم ونزاهة تتأوه من هول وشدة الطلق، فما بالك بالجنين المضموم؟! فعلاً تختلف عظام رأسه في ولادة الدنيا، ولا ضير أن ضمة القبر أيضًا عملية فسيولوجية للولادة البرزخية، وإن اختلفت عظام الرأس في ولادة الدنيا، فلربما تختلف ضلوع الصدر في ولادة البرزخ! فعلاً

هي ضمة مؤلمة، ولكن ضمة فرج وليس ضمة صدر، ضمة مرور، في ظاهرها عذاب وألم وفي باطنها رحمة، فالأم تريد لابنها أن ينتقل، أن يتطو، يضيق الممر في الولادة، هو ليس الماء، وإنما يضيق الممر كي يساعد على المرور.

عدم وجود الجنة على الأرض ولا في السماء، يتوافق مع رأي العلماء الذين لم يرجحوا رأيًا فيها، بيد أن الشيخ الشعراوي هو أول من قال إنها على الأرض، فأمر الهبوط لآدم يفيد الانتقال من مكانة أعلى إلى مكانة أقل، وهذا ما قد يتوافق مع بحث حسن بأنها طور من أطوار الحياة، بل الطور النهائي، ولكن في مكان جديد، دائرة جديدة على الأرض أو في الفضاء، فالإنسان لم يتخذ شكله النهائي بعد، فالمنوي ليس شكلًا نهائيًا، ولا الجنين شكل نهائي، وقد يكون الدنيوي ليست الصورة النهائية للإنسان، استأنف حسن المرور حتى أتاه خبر وفاة والد أحمد الجويلي، فذهب إلى خالد وناجي في العمليات .

كي يتباحثوا إمكانية تقديم واجب العزاء، أو مساعدته في أي أمر يحتاجه منهم في تلك الظروف، فهو زميل دراسة وصديق، وإن كان غير مقرب كناجي وخالد إلا أنه صاحب فضل عليه في أزمته .

حسن : طب إيه، مش هتزعزوا؟

ناجي: العزاء بكره في مسجد الرحمن الرحيم.

حسن : طب والدفنه؟

ناجي: النهارده.

حسن : كلمتوه؟ محتاج حاجة؟

خالد : أيوه، وعزنانه وقال إنه هيدفنه في البلد ويجي العزا بكره.

حسن : الجويلي راجل محترم.

ناجي : لا، ومقتنع بكلامك شوية؟

حسن : إزاي؟

خالد : وانت في الرعاية، لما حكينا عن كلامك، قال إنك ممكن

تطلع صح، وإنه قرأ عن حاجه اسمها DMT

وإنها بتظهر في المخ قبل الوفاة مباشرة.

حسن : إيه دي؟

خالد : Di Methyle Tryptamine

حسن : أيوه، قال عنها إيه؟

خالد : قال إنها مادة تفرز في المخ قبل الموت مباشرة، قال إن

دكاتره النفسية والعصبية اختلفوا فيها بتوع الأعصاب، قالوا إنها

ناقل عصبي عضلي.

حسن : وبتوع النفسية؟

خالد : قالوا إنها دليل على ما بعد الحياة الدنيا، والكلام الغير

مفهوم اللي يسبق الموت، كأن الإنسان يكتسب خبرة معينة أو

يتحدث لغة جديدة، ونظره يتسع أكثر، وإن هذه اللحظة خارج

الواقع. (External of Reality)

وأن الإنسان يتواصل مع ناس أو مخلوقات أخرى خارجية، ويحاول أن يشرح لنا، ولكن يكون قد فقد لغة التواصل معنا .

ناجي : على نظريتك ممكن يكون ال

بتاع الولادة البرزخية؟ Oxytocin ده هو DMT

خالد : أيوه، الهرمون ده هو اللي بيدخل الحامل في طلق الولادة الدنيوية لما بيفرز في الغدة النخامية في راس الأم، هو اللي بيحمي الطلق.

حسن : أو ممكن يكون دكتور النسا البرزخي بيحقنه على محلول برزخي هوأئي، عشان يحفز الولادة البرزخية .

حسن : ممكن تلاقي نسبته في المقتولين أقل من الميتين عادي، زي ما الأوكسيتوسين في الولادة القيصرية بيبقى أقل من الطبيعي .

خالد : وقال إنه بيفرز في النباتات والأرانب والفئران قبل الموت أيضاً .

حسن : لا، كده الموضوع بيكبر، استنى أما ندور كده على مقالات عنها .

DMT بدأ حسن بالبحث على النت عن كلمة

وبعد قراءة عدة مقالات، أفادت أن هذا كله مجرد افتراضات وتصورات، ولكن لا توجد معلومات مؤكدة، ولكن هي ملاحظات تحت البحث حتى يتم التوثيق .

حسن : ما دامت افتراضات ومافيش أبحاث أكيدة، خلىنا نركز في بحث المسحات والموتات بتاعنا.

خالد : آه، ممكن يجيب نتائج أفضل وأسرع.

كان انبهار حسن بوجود عدة مقالات تحمل عنوان: "Near Death Experience" دراسات ما قبل الموت .

حسن : طب ما في ناس تانية بتدور أهيه، ولا هو حرام علي أنا وبقيت مجنون لما فكرت؟!

خالد : أيوه بس هما ماوصلوش لحاجه.

حسن : هما بيبحثوا بشكل علمي بحت، ولكن احنا قدرنا نقسم الموضوع لأطوار أو محطات يمكن المقارنة ما بينها، هما بيدوروا في محطة واحدة وهي نهاية الدنيا، لكن بحث المسحات والموتات أوسع. خالد : صحيح هو نظرياً أوسع من الدراسة دي .

ناجي : مسحات وموتات؟! ماشي هو الكلام ده هيفيد بيه، ولا هي فلسفة فارغة وخلص؟

خالد : بس يا تافه.

ناجي : بتدور على إيه يا حسن؟ هي ماتت، في حد راح هناك ورجع؟ أو هيرجع؟ الموت هو السكة الوحيدة لهنالك .

حسن : أولاً أنا مبدورش عليها.

ناجي : لا يا شيخ!

خالد : وثانيًا؟

حسن : أيوه في حد راح ورجع.

ناجي : مين؟

حسن : ألم تسمع عن أهل الكهف؟ أو عن عزيز الذي أماته الله مائة عام ثم أعاده للدينا؟ حتى أنهم حينما سئلوا عن المدة التي قضاها قالوا يومًا أو بعض يوم، والمائة عام أو الثلاثمائة عام بعض من يوم البرزخ الي هو ألف عام دنيوي، هما لم يستكملوا اليوم، فعلاً هم لم يتكلموا أو يحكوا عن هناك، ولكن هم ذهبوا وعادوا.  
ناجي : أيوه بس دي معجزات.

حسن : إشارات، إشارات متجددة لتتعلم ما أفاض الله علينا بالقرآن، فلم تُرو هذه القصص عبثًا، ولا حتى الأديان والكتب السماوية جاءت من قبيل الصدفة، حتى انظر للأمر الآلي بالإنصات للقرآن حين سماعه، أي شدة التركيز لعلكم تفهمون.

ناجي : ونعم بالله يا سيدي، بس ما حدش بيجيلنا من هناك ليه؟

حسن : ممكن يكون الأجسام الفضائية الغريبة، الشهب والنيازك، ممكن تكون إشارات من هناك؛ عشان زرد، عشان نتواصل، بل ممكن يكون حد بيجي واحنا مانعرفش أو ممكن حد يبعث من هناك للدينا تاني بعدنا. الله أعلم .

ناجي : عمومًا فكك من أرض المنويين الي انت عايش فيها دي، وتعالى عندنا الدنيا.

خالد : احترم نفسك يا ناجي .

ناجي : خليك في كرشك ده، ما بتخشس ليه؟

حسن : والله الواد سلامه قالي على ماتشين كوره بس أنا باكسل .

خالد : بيقول بكره في لعب كورة .

حسن : ماهو قالي وانا جاي دلوقتي، وقعد يزن عليا .

ناجي : والله فرصه، الناس هتبقى ملمومه بكره في العزا .

خالد : خلاص زروح يا عم .

حسن : يا عم بكره راحة، وكنا عايزين نسهر على القهوة .

ناجي : أنا بفضل كدا .

خالد: بس يا واطي بدل ما تروح تشرب شيشه، تعالى العب شوية كورة ونضف صدرك .

في القسم، كان الصديق الجديد مصطفى يدافع عن حسن، ويمحو تلك الكلمات التي لا يزال د/ عماد يرددها ويملاً بها القسم .

مصطفى : يعني هو لازم يبقى من رجالتك عشان اللعنة ماتنزلش عليه؟

عماد : ما أديك شوفت القصاص .

مصطفى : ده طلع عنده دهون زيادة وعملت له . Insulin Resistance  
وبعدين كلامه ممكن يطلع صح، ولأ هو الكلام لازم يجيلنا من بره  
عشان نقعد نضمص في صوابعنا ونقول ما الكلام ده عندنا من

١٤٠٠ سنة؟

عماد : إنت مالك شادد عليا في الكلام كده ليه؟ إنت نسيت نفسك يا مصطفى؟

مصطفى : عشان حرام عليك!

عماد : إتأدب يا ابني!

مصطفى : الموضوع دلوقتي معدش كبير ولا صغير، الموضوع إنك خلقت فتنة في القسم، نار حوالياه، الناس في القسم بقت خايفه، خايفة تفكر، خايفة حتى تتنفس، بقت خايفة تقول سبحان الله لا نبرة صوتهم تبقى مش كويسه، وكأن الأمر بإيدك تنزل اللعنة على من تشاء وترفعها عن من تريد، تمنح صكاً بالرحمة، وتنزل سهماً باللعنة، كله على حسب علاقته بيك! معاك يبقى تدبر ضدك يبقى كفر وتجراً وبدع، حتى لو مش ضدك يبقى متهم بعدم حسم موقفه، كده حرام، كده حرام! الترغيب قبل التنفير يا دكتور .

عماد محتدًا : إنت إزاي تكلمني باللهجة دي؟

مصطفى : أنا آسف، بس حضرتك عارف إن الناس بتحترمك وبتردد كلامك، وحسن ما يستاهلش منك كده، ومش عايزك تفقد مصداقيتك لما الناس تعرف إن الموضوع مش لعنة، ده مجرد مرض وله أسباب وعلاج.

عماد : أنا فكرت في كلامه، هو جديد وإن ماكنش منطقي فهو على أقل تقدير اجتهاد يشكر عليه .

فرحاً مصطفى : هو ده عهدنا بيك يا د / عماد .

عماد : عموماً، أنا كنت ناوي أصالحه، وما دام طلع تعبان بيتقى ربنا يشفيه وهاروحله دلوقتي .

مصطفى : إيه رأيك تصالحوا في الملعب؟

عماد : ملعب إيه؟

مصطفى : هيلعبوا كورة بعد العزا .

عماد : الله! أنا نفسي ألعب كورة فعلاً، بس خيلنا نصالحه دلوقتي يا أخي .

ذهبا يبحثان عن حسن، ولكنه لم يكن موجوداً في قسم الأطفال، وتم استدعاء د/ عماد لولادة مستعجلة في مستشفى خاصة فرحل . انتهت النوبتجية، وفي اليوم التالي قبل أن يرحل حسن التقى سلامة .

سلامة : خلاص يا دكتور حسن النهارده بعد العزا .

حسن : النهارده راحة نبطشية، وعازر أقعد على القهوة .

سلامة : الناس النهارده هتبقى ملمومة، وبقالنا أسبوعين بنأجل، ده أنا في أسوان كنت بلعب يومياً .

حسن : يا سلامة إحنا تعبانين النهارده .

سلامة : أنا ربطت مع الناس كلها، أنا لازم ألعب كورة النهارده، وانت لازم تيجي يا دكتور حسن . بعد إذذك .

حسن مبتسماً : خلاص هاجي يا سلامة بطل زن .

سلامة : يعني موافق يا ريس؟ أنا نفسي ألعب معاك، يقولوا إنك لعيب .

مضى اليوم، وتوجهوا لأداء واجب العزاء، بعد صلاة العشاء ساد الصمت المكان لجلال الموقف يتخلله صوت القارئ الذي كان يرتل سورة الحج، الجميع مستعد للماتش، أحضروا الحقائق في السيارات، كانت العاشرة مساءً في الملعب الخماسي المجاور للمستشفى، استأجروا ساعتين، انحاز مصطفى وسلامة لفريق الرفاق الثلاثة، عماد بعد أن اعتذر وتصالح مع حسن، كون فريقاً من باقي الأطباء الموجودين، دارت المباراة، تطوع سلامة أن يقف في المرمى كأول واحد في الفريق، مرت عشر دقائق والكرة سجال بين الفريقين، حسن يعزف كصانع ألعاب، تقدمت فرقته بعدة أهداف، هجمة لفريق د/ عماد، سلامة ملقى على الأرض، صوت ناجي من بعيد: «مش وقت هزار يا أمور» فعلاً، ظن الجميع أنه مرهق من يوم عمل طويل من شد الحالات ونقلها، على الفور اتجه إليه الجميع، قبض حسن على فكه خشية أن يكون متشنجاً أو ابتلع لسانه، ولكن وجد عضلاته غير مشدودة، وما أن قبض على فكه حتى خرج لسانه خارج فمه .

خالد : مافيش نبض . الجميع مذهول ومضطرب، حالة ارتباك، الكل حوله يحاول إسعافه، وقف مصطفى جانباً يشاهد منظر سلامة، يقبض قدميه وجسده كالبردان، ثم يفردهما كالحران ويميل

على جنبه قليلاً، ثم يفرد عنقه ورأسه وتنضم يديه إلى جسده، كوعه منثنٍ، وكفاه منثنيان للداخل وكأنه هناك من يشدهما.

خالد: بينا على المستشفى الواد بيخلص.

ناجي: طب بسرعه الواد مش قادر ياخذ نفسه.

هرول الجميع يحملونه متجهين إلى سيارة أحضرها أحد الأطباء إلى بوابة الملعب، بجوار سلامة في السيارة أحد أطباء الرعاية يحاول إجراء إسعافات أولية لاستعادة حركة قلبه، في لحظات كانت السيارات جميعاً في المستشفى، وفي عجالة حاولوا صدم قلبه بصدمات كهربائية، يحاولون استعادة نشاط القلب بأي طريقة، تركيب كانيولات في كفه وذراعه، ولكنها لا تدخل، فقاموا بتركيبها في رقبته، يضعون ماسك أكسجين على فمه، مضت خمس دقائق منذ سقوطه حتى الآن، وضع حسن يده على النبض فلم يشعر بشيء، أدرك أنه انتقل، وقف صامتاً ظناً منه أنه يهذي أو مفجوع من الدهشة ولذا لا يشعر بشيء، ربما هو حي والخلل في يدي حسن، هي التي لا تشعر، ربما هي خائفة، تركهم يستأنفون الإسعافات، عليهم يفلحون، حالة من الهرج انتهت حين أعلن طبيب الاستقبال أن الأمر قد حُسم «البقاء لله» موجة من الصمت، أشعل ناجي سيجارة، انزوى حسن.

عماد متأثراً: يعني ملك الموت كان بينا يا جدعان!

دخل سلامة ثلاجة الموتى، بعد ساعتين رحل الجميع، كل له في المشهد عبرة وعظة، وكل يدرك بعقله، فالموقف الواحد قد يعرض

على أناس كثيرين، كل منهم يفهم على قدر علمه وإدراكه، في الصباح تجمع الفريقان قبل صلاة الجنازة بساعة، قبل صلاة الظهر وقبل أن يصلوا عليه وهو متوجه إلى مرقد الأخير في أسوان، في مقابر العائلة، تجمعوا متأثرين بما حدث، المرء لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، قضاء الله سيمضي، ولو كان المرء في بروج مشيدة، لو كان في مستشفى أو في حوزة أطباء، لا شيء ينفع، سيدرك الموت لا محالة مادامت قد حانت الساعة، قضاء الله سيمضي، لم يقدم الأطباء من الأمر شيئًا، كان شابًا، لم يشك من أي مرض، لم يكن مدخنًا، لم يلع لسانه، لم يدخل الرعاية، لم يطل الأمر كثيرًا ما هي إلا دقائق.

في الأمر رسائل كثيرة، كان حسن قد اقتنع وأدرك أن تلك رسالة من الله بأن «توقف إن الأمر معجزة، عُدْ لا تتباد» استغفر بالأمس كثيرًا، وزاد إيمانًا بإعجاز الله وقدرته المطلقة في كونه.

وكان سلامة كان يسوقهم إلى موته، إلى أرض رحيله عن عالمنا، أتى من أسوان، جاب البلاد طولًا وعرضًا، ولكن انتهت الرحلة الدنيوية عند هذا المتر من الأرض .

« القرن البرزخي طش » هو مقدر بالسّم، في لحظة معينة بالثانية، بل أمام شهود معينة، وفي ظروف معينة، لا شيء عبثًا، كل شيء بقدر .

الوجود هو سيد الموقف، تنوح عليه فتحية العاملة وكأنها أمه: «كنت رايح لقضاك يابني، ساعتك كانت بتناديك يا ضنايا» وسامعين

محدثاً نفسه: «ما قولتك متهدش بدنك»، حسن يستغفر، فالأمر لحظة، ولا تدري متى ولا أين ساعتك!

همس مصطفى في أذنه: حضرتك خدت بالك من مشهد الوفاة؟  
حسن : الله يرحمه.

مصطفى : ده فيه رسالة.

حسن : أنا خلاص بطلت، وصلني الإعجاز.

مصطفى : الرسالة إن ربنا يسوقك انت عشان تشوف المشهد ده .

حسن : تقصد إيه؟

مصطفى : إن المراحل اللي شوفتها من ضم الجسم، ثم فرده، ثم استمائه على جنبه، وفرد عنقه، بالظبط زي مراحل الولاد اللي احنا درسناها!

بانهار حسن: لا يا شيخ! فعلاً

مصطفى : أنا تخضيت ووقفت أراقب المشهد، مافارقش خيالي طول الليل، ولا كلامك فارق وداني، المشهد متشابه فعلاً مع مراحل الولادة الدنيوية، الموضوع تم في لحظة.

خالد : اسكت يا مصطفى بطل هري اللي حصل ممكن

arrest أو ventricular fibrillation

مصطفى : مش مهم السبب إيه؟ توقف في القلب أو غيره، الموت واحد.

ناجي : إتلم يا مصطفى إحنا ما صدقنا يعقل ويرجع من أرض المنويين، وبعدين مراحل ولادة إيه دي؟! ده تأثير نقص الأكسجين.

ومكنش يعرف . Aneurysm أو حتى hypoxia

مصطفى : استحاله يكون نقص أكسجين لإن سلامة ماكنش مدخن أصلاً، ولا كان عنده حاجه في القلب لإنه كان بيبدل مجهود عنيف يومياً في الشغل، وكلام حسن مش جنون.

ناجي : ما احنا بنشوف ناس بتموت كتير وما بيحصلش معاهم كده، ولا مراحل ولا بتاع!

خالد : وفي ناس بتموت في مكانها في صمت !

مصطفى : وفي ولادة طبيعي وولادة قيصري، وحتى الولادة الطبيعي الجنين فيها بياخد أوضاع مختلفة، اللي بيتولد براسه واللي برجله، واحنا أصلاً ما كناش رابطين بين الولادة والموت، فما كناش بناخد بالننا، العين ما بتشفش إلا اللي تعرفه.

ناجي : بس الجنين لا يترك خلفه جسد والميت بيسيب وراه جثة!

حسن : مين قال إن الميت بيسيب وراه جثة؟

خالد : ما احنا بنشوفها.....وبندفنها كان!

حسن : في المتوسط كده الجنين بينتقل للدنيا في أد إيه؟

مصطفى : من ٨ الى ١٢ ساعة تقريباً من بداية الولادة.

حسن : يعني حوالي نص يوم دنيوي، ما يساوي ٤٠ يوم جنيني تقريبًا، يعني الجسد ينتقل بين الأطوار في حوالي أربعين يوم بتوقيت الأرض السابقة أو نصف يوم من الأرض القادمة.

ناجي : تمام يا سيدي وبعدين؟

حسن : يعني الانتقال حدث، وله قانون مش صدفة، والاختلاف فقط في تقدير وقته بالنسبة لكل طور، وفي الانتقال من الدنيا للبرزخ نحتاج إلى ٤٠ يوم دنيوي أو نصف يوم برزخي يعني حوالي ٥٠ سنة دنيوية، شوف بقى بعد كده هيفضل جثة ولا لا؟

مصطفى : يعني المتزامنين معانا لما يموتوا قبلنا بيلاقونا في ديلهم؟

حسن : تقريبًا والله أعلم.

حاول مصطفى أن يستأنف الحوار، ولكن ناجي نهره «إتلم يا ابني واسكت، يلا نصلي الجنازة».

لا تدري نفس بأي أرض تموت، فسلامة حضر من أسوان ليحضر بالقاهرة، كان يسوق الجميع إلى حيث ينتقل، لا حيلة في الموت، وكل شيء بقدر، ولا مكان للصدفة في كون الله، فالمنوي أيضًا مقدر له أن يموت في أرض معينة، وكذا الجنين، فلو أن امرأة حملت في الخرطوم، وولدت في القاهرة، ومات ابنها هناك في باريس، يكون الموت المنوي والولادة الجنينية في رحم هناك على أرض الخرطوم، والموت الجنيني والولادة الدنيوية على أرض القاهرة، أما الموت الدنيوي والولادة البرزخية فهناك على أرض باريس، لا تملك نفس

من أمرها شيئاً، وإنما كل شيء مقدر بالمكان، بالمترو، بل بالسنتيمتر، وفي الثانية المعينة، وفي الحدث المعين، بل وأمام شهود، وفي ظروف معينة، من يحكم كل هذا لكل تلك الأرواح! لا شيء لديه صدفة أو عبث.

المشهد كان عبرة وعظة للجميع، لم يستطع أحد من الشهود إغفاله ومواصلة حياته بسهولة دون التأثر به وإعادة الحسابات، انخفض مستوى أدائهم الديني، ومن ينكر تأثره أمام الناس يعترف لنفسه بأنه مهزوز، حسن أصبح ملغماً بالمزيد من الأسئلة، بل والخوف، أصبح أمام رحلة جديدة، ومنعطف هو مجبر عليه، يحاصره الإحباط وتهمة الجنون، ونظرات المحيطين التي باتت معلقة معه كلما رآته، لا يدري إن كان من قبيل الاحترام له أم الإشفاق عليه أو ربما الاحتقار! لا يدري أيكون أغضب الله وأصابته اللعنة فعلاً؟! ولكنه ازداد إيماناً وإدراكاً لإعجاز الله في كونه، لا أحد يتحدث معه أو هو الذي أصبح خائفاً من فتح أي حوار، ولو كان عادياً مع أي من المحيطين خشية الاصطدام بآراء معدة مسبقاً عنه ولا يجب سماعها، نوبة من الإحباط والاكئاب والخوف، وعدم الثقة انتهت به إلى قرار الرحيل عن هذا المناخ، عن تلك الظروف غير الملائمة، قرر الرحيل إلى الساحل الشمالي، يستجمع قواه، ويسترد نفسه هناك في برد الشتاء، يناجي ربه ويستغفره، يريد البعد عن الناس في مكان بعيد، فقد بات يخشاهم ويرفض رفقتهم فنظراتهم تملؤها الريبة، خاض معركة كبيرة من التفكير، أفضى بعدها بقراره لخالد.

خالد : الدنيا برد يا ابني!

حسن : كويس، أنا عايز أنعزل عن الناس شوية.

خالد : إنعزل هنا يا سيدي، وتنعزل ليه أصلاً؟

حسن : لا، ده أنا رايح أذاكر عشان امتحانات الزمالة البريطانية.

خالد مستنكراً: ومن إمتي الكلام ده؟

حسن : عايز أتعمق في دراسة الطب بجد يا أخي وأكون متابع لآخر الأبحاث، ويمكن لو نجحت أسافر أشتغل هناك.

خالد : الواد محمد غانم عايش في مانشيستر، هو كلمك قريب؟

حسن : الله يسميه بالخير، لا مكمنيش من شهرين، بتسأل ليه؟

خالد : أصله كلمني من أسبوع، قلت يمكن لعب في دماغك.

حسن : لأ، ده أنا اللي واخذ القرار ده.

خالد : طب وأفكارك وأبحاثك؟

حسن : كل شيء يولد بميعاد، حتى الأفكار، وممكن يكون قدرها ماتتولدش أو حتى إنها تموت، فكك منها.

خالد : ده إحباط مش مذاكره بقي!

حسن : فكك من أي شيء، تسقط دماغي، يسقط الفكر، يسقط، كل جديد، إنتو صح يا خالد.

خالد : ما تزعلش نفسك كده، كلامك ممكن يطلع صح، ده أنا ابتديت أقتنع بيه.

حسن : ولا تقتنع ولا ما تقتنعش، أنا هروح أذاكر عشان أسافر.

خالد : أنا كنت مقتنع من بدري، بس كنت خايف عليك.  
حسن : فات المعاد، اقتناعك جه متأخر، الموضوع التحسم.

صمم حسن، وأحبط كل محاولات خالد في استبقائه، أو حتى بإغرائه باقتناعه بأفكاره، فلم يعد لاقتناعه جدوى الآن، اتخذ القرار، ولا جدوى من أية عراقيل.

الساحل الشمالي مكان هادئ الآن، ويصلح للمذاكرة، بل يصلح للانطلاق إلى إنجلترا أسوة بصديق الدراسة محمد غانم الذي تخرج معهم، وكان صديقاً حميماً لهم، ورفض الالتحاق بمستشفى الهيئة، واجتاز اختبارات الزمالة البريطانية في تخصص المسالك البولية، وتوجه إلى إنجلترا لاستكمال دراسته، وتم تعيينه في مستشفى في مانشيستر، وبعد انتهاء دراسته، اختار البقاء والاستمرار هناك كحاضر في جامعة مانشيستر، ولطالما حاول أن يجذب حسن إلى هناك، فقد كان أفضل صديق لديه.

بقي خالد حزيناً، لديه شعور بانسحاب حسن من حياته، يلوم نفسه بل ويعنفها.

”عنده حق يمشي طبعاً، إحنا اللي عملنا نفسنا أوصيا عليه، هو احنا ليه اللي يحاول يفهم نخبطه؟ طب إحنا هنفكر إمتى؟ ولا منعرفش نعمل حاجة غير التكسير؟ إمتى هنبني؟“

وكان ناجي مشغولاً في المنطقة الوسطى بين مايسة والمخدرات.

رقم إيداع ٢٧٦٦٧ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي / ٧-٠٣٤-٧٨٤-٩٧٧-٩٧٨



ليبنت النشر  
والتوزيع